خطاب الاستاذ عبد الكريم زهور عدي

في حفل استقباله

الحمد لله والصلاة على رسول الله • وبعد

أيها السيد الرئيس والاساتذة أعضاء المجمع والسادة الحضور •

لئن كان حقاً علي أن تكون فاتحة كلامي عرفاناً بفضل الاساتذة أعضاء المجمع علي ، أن فتحوا لي أبواب هذا الحرم المقدس للغة التنزيل؛ انه حق علي أيضا أن أقدم بين يدي اعترافاً لا يرجع الى التواضع ، مجلوباً أو غير مجلوب ، بل الى الصدق أمام النفس قبل أن يكون أمام الآخرين•

أقول : لقد فوجئت حين عرض علي بعض الاصدقاء أن أوافق على ترشيحي لعضوية مجمع اللغة العربية ، إذ لم يقم في نفسي قبلها مرة أن أطمح ، بمحصولي القليل من المعرفة والاقل من علوم اللغة العربيّة ، لمثل هذا المقام ، ولاسيما اذا كان من استوى عليه قبلي بجدارة رجلاً أوتي الجزالة في العقل والجسم وفي العلم والخلق والبيان • فكان ردي الاول والسريع الاعتذار معللاً بأنني لا أحمل شهادة علمية عالية ولست في مركز علمي هام ولم يصدر عني عمل علمي مذكور • انني رجل ابتلعت خير أيامي وجهودي الرمال العاقة للسياسة في هذه البلاد التعيسة • ولكن الاصدقاء ، سامحهم الله ، أبوا علي اعتذاري • فلبثت زمناً في حيرة بين الاصدقاء وبيني : اني أعلم يقيناً أنهم ذوو ضمائر مستقيمة وعقول نزيهة، فلا بد أنهم اشتروني جملة ولم يتقروا التفاصيل • وبعد لأي ماوافقتهم ، بل قل استسلمت لمشيئتهم•وغيربعيد أن يكون من أسباب هذا الاستسلام

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ذلك الغرور الخفي الغادر الذي يتسلل الى نفوس الرجال ، مهما بلغوا من التواضع ، فيتجاوز بهم مقدارهم • فاعفوا عني واصفحوا •

قد يشد من أزري ، ذلك الى عون الاساتذة الزملاء ، هذا الهم المقيم في القلب والمتصل بهذه الامة ، التي تداعت عليها وعلى لغتها الامم كبيرها وصغيرها • والاخطر من ذلك التداعي هذا الدعاء الملح الصادر عنها : بالخوف الذي توحيه إليهم : بالموقع في الارض والمكان في التاريخ والكثرة في الانفس والثروة في الخامات والمقام الروحي عند كثير من الشعوب ، والطمع الذي تذكيه فيهم : بالتخاذل والضعف والتخلف والتظالم والضياع بين الفجور والقبور ؛ حتى كأن أمتنا شجرة اهترأت منها الجذور في هذا العالم المرتج بالاعاصير •

أرجو أن يكون هذا الهم لي مسعداً ، ولكنني لا أقدمه ، وما كان لي أن أقدمه ، عذراً ، فلست فذاً في حمله ، وما أنا إلا فرد من قبيل • فكم بين هذا الخلق المضطرب بين البحر والصحراء في هذه الرقعة الواسعة التي ندعوها وطن العرب ، ممن يجد العذاب في قلبه وهو يلوب في قلب هذه الفتن التي يصبح فيها العربي إنساناً ويمسي وحشاً أو عبداً أو دون ذلك أو أكثر • ان مثل هذه الهموم تُعِدُّ الانسان لأن يكون من أبناء أمته البررة أو المخلَصين أو المجاهدين ، وتلك لعمري مقامات عليا ، يشرّف الانسانَ ، أيّ انسان ، أن يزحف في عتباتها ، وقد تعلو على مقامات العلماء ، ولكنها من عالم آخر غير عالم العلم • وطوبى لمن اتسعت نفسه للعالمين !

وهذا البلد ، الشام ، كم في باطن أرضه وعلى وجهها بعد من شهيد في سبيل هذه الامة واسلامها ولغتها • ولقد كان كذلك حاله منذ التقى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أبو عبيدة وخالد على مبعدة مئات قليلة من الأذرع من ههنا . فلئن كانت مدينة الرسول عاصمة دولة الاسلام ، التي تنزّل فيها ، في عهد الثلاثة : رسول الله والعمرين ، وللمرة الوحيدة في تاريخ الانسانية ، المثلُ الأعلى من ملكوته الى الارض فأصبح واقعاً ودولة بين الناس ــ لقد كانت دمشق عاصمة دولة العرب ، فأيّاً ماكان الاعتراض على بني أمية ودولتهم ، فلا جدال في أن دولتهم كانت دولة العرب الخالصة . ولكن الاسلام والعروبة، منذ ما تنزّل على قلب الرسول العربي القرآنُ بلسان عربي مبين من لدن عليم حكيم ، قد تخالاّ خلة امتنعت معها أية عملية لفصلهما أحدهما عن الآخر ، وكل محاولة في هذا السبيل جرت انما كانت محاولة غبيّة أو خبيثة هدفها الخبيء الانتقاص منهما أو قتلهما معاً . وبعد العاصمتين لم تكن أي عاصمة أخرى للاسلام أو العروبة إلا انتقاصا على نحو وبمقدار من الاسلام والعروبة جميعاً .

وإن في التاريخ أحداثاً وظواهر هي اشارات ورموز تكشف عن أقدار المدن ، وللامصار كما للاشخاص أقدار . ففي كل مرة كان فيها الاسلام والعروبة في خطر شديد أو على شفا الهلاك،وقعت المعركة الفاصلة المنقذة على مقربة من دمشق ، مدينتنا هذه . فعلى كتفها في الجولان والجليل جرت معركتا حطين وعين جالوت . وقد تجمعت النذر الآن ، ولا أرى إرهاصات بحطين جديدة . اننا ما زلنا ، لبؤس جيلنا ، في عهود ما قبل نور الدين ، ولكن زمانها سيخيّم ، وستقوم دمشق بدورها في تقرير المصاير .

وقد عرف العرب والمسلمون ، ملوكهم وسوقتهم ، خاصتهم وعامتهم، لهذا البلد مكانه . ففي مرقين في التاريخ ، مرة مؤكدة ومرة مقولة ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تعلّق أملُ خليفتين بالخلاص ، حين اشتدّ التآمر واشتجرت الفتن ــ بدمشـــق :

فالمتوكل (٢٠٧ ــ ٢٤٧ ، خلافته ٢٣٢ ــ ٢٤٧) الخليفة العباسي، وقد ورث عن أخيه وأبيه وعمه جملة من المشكلات كان أشدها خطراً مشكلة الجند من الاتراك وتسلّطهم على الحكم ، إذ مدّ لهم الواثق حتى كادوا يصبحون الحكومة كلها ــ[١] « جعل يجيل الآراء في استئصالهم» . فبدأ برأسهم ايتاخ فاحتال عليه فأوقع به[٢] (سنة ٢٣٥) ؛ وأنشأ فرقة من الجند[٣] « نحواً من اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك » ضمها الى وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان . ولكنه ظل يشعر أنه مادام في سامرا فهو مقيد الحركة وتحت رحمة الجند ، فقرر نقل عاصمة ملكه الى دمشق. وفصل عن سامرا في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين ومائتين ودخل دمشق في صفر سنة أربع وأربعين ومائتين[٤] ؛ ونزل في قصر المأمون[٥] « بين داريا ودمشق ، على ساعة من المدينة ، في أعلى الارض ، وهـــذا الموضع يشرف على المدينة وأكثر الغوطة » . ولكنه لتعسه ونكسه ، ولأسبابٍ غير مقنعة يذكرها المؤرخون[٦] ، وأسباب نخمّنها ولا نتأكدها ، لم يستقر في دمشق وعاد الى العراق[٧] ، فبنى المتوكلية عاصمة جديدة يُذكر بها ، فلم تعصمه واغتاله فيها الجند من الاتراك[٨] . فكان ، لولا الصـــحوة المعتضدية الاخيرة ، آخر خليفة عربي يملك ويحكم .

والخليفة العثماني عبد الحميد الثاني (حكم من ١ أيلول ١٨٧٦ م ــ ٢٦ نيســـان ١٩٠٩) ــ ولست في صدد تقويمه ولا تقويم المتـــوكّل : شخصيتيهما وطريقتيهما في الحكم ــ حين اشتدّ تآمر رجال تركيا الفتاة المؤيدين بقادة من الجيش وبالدونمة ــ كما يؤكد بروكلمان[٩] ــ أي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالصهيونية الدولية ، وادلهمّ الجو من حوله في استانبول « سعى لأن يجعل اللغة العربية لغة رسمية في الامبراطورية العثمانية كلها » ــ كما يذكر المستشرق كارل شولتز[١٠] ــ ؛ ونوى ــ كما يُروى[١١] ــ نقل العاصمة الى دمشق • ولكنه لم ينفذ وعاجله الجند فخلعوه • فكان آخر خليفة للمسلمين ، ولا اعتبار لرشاد ووحيد الدين وعبد المجيد اذ لم يكونوا أكثر من تطبيقات لقانون القصور الذاتي •

والزهاد والمتصوفة ، اذ كانوا يصدون عن بعض بلاد الاسلام ــ قال الكلاباذي (ــ ٣٨٠) : سمعت كثيرا من مشايخنا يقولون : كان الشيوخ يهجرون الفقير لثلاث : إذا حجّ عن غيره بمال ، واذا أتى خراسان ، واذا دخل اليمن ، قالوا : من أتى خراسان لم يأته إلا للرفق وليس بها مباح فيطيب مطعمه ، وأما اليمن ففيه طرق الى الفسق كثيرة[١٢] ــ كانت نفوسهم (الزهاد والمتصوفة) تهوي الى الشام • سأل ابراهيم بن أدهم (ــ ١٦٢) بعد توبته بعض المشايخ عن الحلال فقالوا له : اذا أردت الحلال فعليك ببلاد الشام[١٣] • وقال لشقيق البلخي (ــ ١٩٤) وقد لقيه في الشام : ماتهنيت بالعيش إلا في بلاد الشام،أفر بديني من شاهق الى شاهق ومن جبل الى جبل ، فمن يراني يقول موسوس ومن يراني يقول هو حمال[١٤] • والغزالي (٤٥٠ ــ ٥٠٥) حين أخذته الازمة الروحية حتى اعتقلت لسانه، فر بنفسه الى بلاد الشام[١٥] واعتكف مدة في المنارة الشرقية لجامع دمشق، وظل في سياحة عشر سنوات لم يكد يخرج فيها منها إلا الى الحج • وابن عربي (٥٦٠ ــ ٦٣٨) نفذ بنفسه وصيّته الواردة في وصاياه في آخر الفتوحات المكية ، قال[١٦] : « إن قدرت أن تسكن الشام فافعل ، فإن رسول الله ﷺ ثبت عنه أنه قال : عليكم بالشام فإنه خيرة الله في أرضه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإليها يجتبي خيرته من عباده » . وهكذا نعثر عليه ابتداء من سنة ٦١٣ في حلب وفي حمص ثم يستقر في دمشق منذ سنة ٦٢٠ حتى وفاته .

تلكم أحداث ومواقف ، ولها أمثال كثيرة ، تكشـف عن الدور المقدور لهذا البلد : أرضه وشعبه في تقرير مصاير هذه الامة . وحين يكون قدر بلد مثل هذا القدر لا يخليه الله من أصحاب العزمات ومن يؤرقهم تقليب الرأي في الصورة التي يجب أن يكون بها حملُ المسئولية .

« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت .. »[١٧] ، ولكن شوقي قال في أواخر الربع الاول من هذا القرن : « وعز الشرق أوله دمشق »[١٨] ؛ ولا ندري أهو إلهام من إلهامات شاعر أو نتيجة تعمق في فهم أحداث التاريخ ، ولكن وقائع الازمنة الحديثة ، ما كان منها قبل هذه القولة وما كان بعدها ، أتت مؤكدة لها .

فعلى أرض هذا البلد دارت معركة الوحدة العربية مرتين : مرة في عهد محمد علي (١٨٣١ ــ ١٨٤٠) ، وأخرى عشناها (٢٢ شباط ١٩٥٨ ــ ٢٨ أيلول ١٩٦١) . وإني في هـذه المناسبة أدعو كل عـربي الى أن يستقري القوى الدولية : الكبيرة والمتوسطة والصغيرة ، الغربية والشرقية وحتى في هذا العالم البائس الذي يسمونه العالم الثالث ، ولينظر أيّهـا لم يكن عدواً لوحدة هذه الامة ــ وعندئذ يعلم معنى الامة العربية في هذا العالم ومعنى وحدتها .

وعن هذا البلد انحسرت ، في معـركة امتزج فيها دهاء السياسـة بمقاومة الشعب ، شيء خُصَّت به الشام يكاد يكون غريزة لها ــ انحسرت أول ما انحسرت جيوش الاستعمار الاوربي (١٧ نيسان ١٩٤٦) ؛ وكانت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاتحة لكل بلاد العرب بل لكل العالم المستعمر . ولم ينس هذا البلد ، وهو في غمرة أفراحه ، أن يقول بلسان رئيسه حينذاك وهو يرفع العلم الوطني : لن يرتفع فوق هذا العلم إلا علم الوحدة العربية ــ وكان عند وعده .

وفي هذا البلد ، وقبل ربع قرن ونيف من تاريخ الجلاء هذا ، قامت أول دولة على أسس القومية العربية (٨ آذار ــ ٢٥ تموز ١٩٢٠) ــ وأقول مرة أخرى : لست في صدد تقويم الثورة العربية وقدرات قياداتها وطموحاتهم القومية والشخصية ــ . وحين أستعرض ذلك العهد الذي كان فيه فيصل في دمشق أميراً ثم ملكاً (تشرين الاول ١٩١٨ ــ تموز ١٩٢٠) ، لا أقضي العجب من نشاط رجال البلاد حينذاك وحماستهم وإيمانهم في كل الميادين وكل المستويات . وفي ذلك العهد القصير الامد في هذا البلد وللمرة الثانية في التاريخ تم تعريب الدولة .

كانت المرة الاولى زمن عبد الملك بن مروان . لقد وضع عمر سنة ١٥ ديوان الجند وكان يكتب بالعربية ؛ أو كما يقول الطبري « فرض على المسلمين الفروض ، ودوّن الدواوين ، وأعطى العطايا على السابقة في الاسلام »[١٩] . ثم زاد معاوية فجعل الدواوين خمسة : للجند والخراج والرسائل والخاتم والبريد ؛ ولكنها باستثناء ديوان الجند ، كانت تكتب بلغات البلاد المفتوحة : الرومية والفارسية والقبطية ، ويتولاها أشخاص منها دون العرب والمسلمين[٢٠] . فعمد عبد الملك ، سنة ٨١ ، الى تعريب الديوان في الشام ، وصرف سرجون بن منصور الذي كان يتولاّه ، وقلّده سليمان بن سعد الخشني ، وهو أول مسلم ولي الدواوين كلها[٢١] .

ثم كانت هذه هي المرة الثانية . فقد واجهت الحكومة العربية التي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قامت في ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ مشـكلة تعريب الدولة . اذ كان « على الحكومة السورية ـ كما يقول ساطع الحصري ـ أن .. تحوّل اللغـة الرسمية من التركيـة الى العربية في جميـع الدوائر والمدارس والدواوين. وقد تمّ ذلك بسرعة فائقة . وقد استحدثت الحكومة دروساً خاصة بالموظفين .. وتألفت لهذا الغرض لجان عديدة ... وأصبحت بذلك الدولة السورية تستحق اسم الدولة العربية بصورة فعلية »[٣٢]. وأنشأت الحكومة العربية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٨ « شعبة الترجمـة والتأليف » ، التي أصبحت حين ضمت إليها أمور المعارف العامة في ١٢ شباط ١٩١٩ « ديوان المعارف » . وانقسم هـذا الديوان حين اتسعت أعماله ، في ٨ حزيران ١٩١٩ الى قسمين : اختص الاول بأمور المعارف العامة ، والثاني بأمور اللغة والمكتبات والآثار ؛ وهذا القسم الثاني هو المجمع العلمي العربي[٣٣] ، الذي نهض منذ ذلك التاريخ بعمله الجليل ، وكان أول مجمع علمي عربي .

أيها السادة . لست غريباً عن هذا المجمع ، فقد قضيت فيه زهاء ثلاث سنوات من أوائل العقد السابع مديرا لدار الكتب الظاهرية ، أتفيأ ظلال التاريخ والكتب والهدوء ، وأستظل برعاية الرئيس الامير مصطفى الشهابي رحمه الله وشهامتـه .

أذكر أنه دعاني مرة إليه ، وكانت مجلة المعرفة الدمشقية نشرت لي مقالاً عرضت فيه رأياً مؤداه أن قادة الثورة العربية أيام الحرب العالمية الاولى ارتكبوا خطيئة استراتيجية كبيرة حين حالفوا استعماراً فتياً ضد الاستعمار التركي العجوز المتهاوي ، وكان قصدي التعريض ببعض القادة العرب حينذاك إذ يرتكبون الخطيئـة نفسها حين يحالفـون الامبريالية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الامريكية ضد الاستعمار الاوربي العجوز • قال لي بعد حديث قصير: قرأت مقالك • قلت : أرجو أن تكون راضياً عنه • قال : أردت أن أناقشك في رأي عرضته فيه لأننا نعدّكم خلفاءَ لنا •• ثم ذكر لي : أن بعض رجال الثورة العربية لم تكن هذه الفكرة غائبة عنهم بل ناقشوها ، ولكنهم كانوا واقعين بين قرني الإحراج: إن مضوا مع الاتراك، فالاتراك أنفسهم واقعون تحت سلطان الالمان ، وأياً كان المنتصر من الطرفين الاوربيين فسيكون مصيرُ الاتراك والعرب جميعاً الخضوعَ لاستعمار المنتصر ، أمّا اذا تحالفوا مع الحلفاء فستكون لهم يدٌ عندهم فإذا انتصروا طالبوهم بردّ الجميل وإنفاذ الوعود • قلت ، وكنتُ صادقاً : أفدتَني شيئاً جديداً لم أكن أعلمه ، وسكتّ • كان للامير في نفسي من المهابة والإجلال ما منعني من متابعة النقـاش •

ومرة أخرى دعاني إليه ، وبحديث قد بلغ الغاية من اللطف والعطف أفهمني ، وكنت في حينها مجروحاً من نكبة الانفصال ويسـود مقالاتي المرارةُ والعنف ــ أفهمني أنني لو كفكفت شيئاً من غلوائي لأمكن تحاشي ما قد يصيبني من ضرر • قال ، وكان يعلم ما أنا فيه من ضائقة : إن هؤلاء حقودون • فأجبته بما أجبته ، فلم يزد وغيَّر الحديث • ثم علمتُ بعد زمان ومن جهات أخرى أنه طُلِبَ منه تسريحي فلم يوافق • ليرحمه الله بمقدار أنفته ومروءته وحبه لأمته •

وإني ، أيها السادة ، إذ أستعرض هذه الذكريات فليس للوفاء وحده، « وإنما لذة ذكرناها »[٢٤] • انها لذة مصفاة تلك التي نجدها حين تتأمل الخلق النبيل •

لقد تعرفت بالامير مصطفى الشهابي على مثل ممتاز للجيل الاول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من أعضاء المجمع ، وتعرفت بالدكتور جميل صليبا على ممثل ممتاز أيضاً للجيل الثاني منهم :

كان أول معرفتـي به سـنة ١٩٣٦ • في تلك السنة أقيـم مهرجان للمتنبي في دمشق • وأصدرت جريدةُ الايام الدمشقية عدداً خاصاً جمعت فيه ما قيل في المهرجان • وقرأت العدد من أول سـطر فيه الى آخـر سطر • وأذكر أنني أعجبت بالدراسة التي قدّمها الدكتور صليبا • لست أذكر الآن شيئا مما قرأت ولا شيئا من تلك الدراسة ، حتى عنوانها • كلّ ما أذكره أنني فضلتها في حينها على كل ما كُتِب وقيل في ذاك المهرجان ، وأنني راقني منها خاصة الروحُ القومية المنبثة فيها •

لم أكن ، لسوء حظي ، تلميذاً له • وكانت لقاءاتي له محدودة بالعدد والمدة والاحاديث التي كانت تدور فيها• لقيته بصفته رئيساً للتعليم الثانوي وعميداً لكلية التربية وفي لجنة الفلسفة وعلم الاجتماع في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية • ولكنني قرأت في مطلع شبابي قراءة دراسةٍ كتاباته : من علم النفس الى دراساته التي قدّم بها للمنتخبات من فلاسفة العرب أو جمعها في كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » •وربما كانت سبباً من أسباب دعتنـي الى تغيير اتجاهي من الرياضـة والعلوم الفيزيائية الى الفلسفة •

أتتم ترون ، أيها السادة ، أن هذه اللقاءات والقراءات جميعاً لاتسمح بمعرفة نافذة وحقيقية • فهل يحق لي اعتماداً عليها وعلى ما استقيته ، وما استوفيت ، من بعض أهله وأصدقائه وزملائه وتلاميذه ، أن أقوم شخصيته وأصدر عليها بعض الاحكام ؟ إن أولى من يقوم بهـذه المهمة أصدقاؤه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذين لازموه ملازمة طويلة وتوثقت بينهم وبينه العلاقة. ولكن اذا كان علي أن أحاول فإنني أقول من باب التخمين لا التأكيد :

يبدو لي أن الدكتور صليبا كان معتدل المزاج ضابطاً لأعصابه وتصرفاته وعواطفه ، عقلانيا واقعيا مجداً دؤوباً قادراً على التنظيم وصادقاً في أعماله . ومثل هذا الطبع لاتتحكم بسيرة حياته النزوات والاهواء والانقلابات المفاجئة ، وانما هو التطور الهادىء تتولد المراحل فيه بعضها من بعض تولداً طبيعيا دون خلل أو انحراف أو عنف . واذا كان لابد من تقسيم حياته الى مراحل فلن تكون العمدة في هذا التقسيم على أسباب نفسية داخلية بل على أسباب خارجية . قال ابنه حبيب ، وأنصف أباه : « لقد شاءت الاقدار أن يكون مربياً فأخلص لدور المربي ، وشاءت الاقدار أن يكون مؤلفاً فأخلص لدور المؤلف والمفكر .. »(٢٥) .

ولد جميل بن حبيب صليبا في ٧ شباط سنة ١٩٠٢ في قرية القرعون من قرى البقاع ، وأسرة صليبا أسرة كبيرة في سورية ولبنان تدعى أيضا صليبة وصليبي ، ولها تاريخ قديم مطبوع في لبنان (كما يقول في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع) .

انتقلت أسرته الى دمشق سنة ١٩٠٨ . ومن هذا التاريخ تبدأ مرحلة الطلب . درس في دمشق حتى حصل على شهادة المدرسة التجهيزية العربية (١٩٢١) . ثم أوفدته وزارة المعارف الى فرنسا ، فالتحق بالصوربون (جامعة باريز) . وهناك حصل على دبلوم التربية من معهد علم النفس (١٩٢٣) ، وليسانس في الآداب (فرع الفلسفة) (١٩٢٤) ، وليسانس في الحقوق (١٩٢٦) ، وتوج دراسته بالدكتوراه في الآداب من جامعة باريز

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على رسالتيه : « دراسة لما وراء الطبيعة عند ابن سينا »[٢٦] و « النظرية الاجتماعية في المعرفة »[٢٧] .

ويعود الى دمشق ، فتبدأ المرحلة الثانية من حياته وأدعوها مرحلة التدريس ، إذ يعين مدرساً للفلسفة في تجهيز دمشق (١٩٢٧) . ولقد كان مدرسا ناجحا . يصفه تلميذه حافظ الجمالي على النحو التالي : « ..لاأزال أذكر تلك اللغة العربية الصافية التي يصوغ بها دروسه وكتبه ، وذلك الصوت العذب الرخيم الهادىء الرصين ، الذي يلزم الانسان بالانتباه إلزاماً .. فإذا تركت الصوت الى الموضوع ، وجدته يتسلسل نقطة بعد نقطـة ، وفكرة بعد فكرة ، لينتهي الى كلٍّ شامل تعرف أوله وآخره ، وبدايته ونهايته ، في بنية موحدة ، ذات هندسة مكتملة ..[٢٨] . والى هذه المرحلة يرجع كتاباه التعليميان : « علم النفس » (١٩٣٦) و«المنطق» (١٩٤٤) ، وترجع المنتخبات من نصوص الفلسفة العربية مع مقدماتها : « ابن خلدون » (١٩٣٣) ، « المنقذ من الضلال » (١٩٣٤) ، « حي بن يقظان » (١٩٣٥) ، « ابن سينا » (١٩٣٧) ، وترجع المحاضرات الست في تاريخ الفلسفة العربيّة التي جمعها في كتاب «من أفلاطون الى ابن سينا» (١٩٣٥) . وما أظنني مبالغا اذا قلت : إن هذه الكتب مع كتاب الاخلاق للدكتور كامل عياد ، الذي شارك في المنتخبات ، تبدأ مرحلة الدراسات الفلسفية في بلاد الشام في العصر الحديث . لأنه : اذا كان حبل الدراسات الدينية والادبية واللغوية لم ينقطع بين العصور العربية الزاهرة والعصر الحاضر ، وان تقلبت عليها السـعود والنحوس ، فإن حبـل الدراسات الفلسفية قد انقطع أو كاد خلال قرون طويلة .

ثم تبدأ المرحلة الثالثة ، وأسميها مرحلة الادارة ، حين يُعيَّن رئيساً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للتعليم الثانوي والفني والإكمالي (١٩٣٥) ، فمديراً لدار المعلمين(١٩٤٤)، فرئيسا للجنة التربية والتعليم (١٩٤٥) ، فأميناً عاماً لوزارة المعارف (١٩٤٩) • والدكتور صليبا مؤهل للنجاح في الادارة ، للصفات التي ذكرت ، ولما أوتيه من رصانة ووقار وقوة في الحجة ووضوح في البيان ؛ ولما أوتيه خاصة من سعة في الأفق ومعرفة بالرجال، من يؤتاها يعلم أن مشكلات الادارة ليست مشكلات رياضية أو منطقية لها حل واحد ويكون بأقصر الطرق ، ولكنها مشكلات معقدة لانها تتصل بالناس ، والناس مجموعات متغيرة متحركة من الوحدات ــ الافراد ، كل وحدة منها معقدة البنيان متغيرته في الزمان تمتاز من الوحدات الاخرى بل تكاد تكون غريبة عنها الغرابة كلها ؛ ولذلك كانت المشكلات الانسانية ، ومنها مشكلات الادارة، تتحرك في حيز كثير الابعاد مشتبكها والزمان ــ التاريخ بُعدٌ أساسي فيها ؛ ولذا قد يكون للمشكلة أكثر من حل ، وقد يكون فيها الحل المستنع في لحظة مسكنا في لحظة أخرى ، وقد يكون الحل الانجع في القرار السريع الحاسم كما قد يكون في الطريق الملتوي الطويل الخ •• والدكتور صليبا لم يكن قادراً على تسيير ما يوكل اليه من أجهزة وحلّ المشكلات التي تعترضه فقط ، بل كان أيضا ادارياً مُنَظِّراً ، يفيد من ممارسته لوضع الانظمة والخطط والبرامج وحتى ما يشبه النظريات • ففي هذه المرحلة من حياته وضع كثيراً من البرامج والانظمة للتعليم ، وسطر دراسات وتقارير عن اصلاح التعليم ، بعضها مطبوع (التقرير السنوي عن المعارف في الجمهورية السورية خلال عام ١٩٤٦) وبعضها محفوظ في السجلات ؛ كما عمل بالاشتراك مع ساطع الحصري على اصلاح التعليم فوضع كثيراً من قوانينه وأنظمته ولوائحه • ولقد أفاد كثيرا من تجربته في هذه المرحلة في تأليف كتابه « مستقبل التربية في الشرق العربي » •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي سنة ١٩٥٠ عُيِّن عميداً لكلية التربية ، فبدأت المرحلة الرابعة من حياته ، وأسمّيها المرحلة الجامعية . وهي فعلا مرحلة جامعة :

مارس فيها الادارة : عميداً لكلية التربيـة (١٩٥٠ ــ ١٩٦٤) ، ورئيساً للجامعة بالنيابة (١٩٥٨) .

ومارس فيها التدريس والمحاضرة : ألقى محاضرات على طلاب كلية التربية في علم النفس (جمعها في « كتاب الغريزة والعادة والارادة » ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم أيضاً في التربية (جمعها في كتاب «مستقبل التربية في الشرق العربي » ــ نشر في سنة ١٩٦٢) . وألقى محاضرات على طلاب كلية الآداب في فلسفة برغسون (جمعها في كتاب «فلسفة برغسون» ــ مخطوط) ؛ ومحاضرات عليهم في تاريخ الفلسفة الحديثة (جمعها في كتاب « في تاريخ الفلسفة الحديثة : بيكون ، ديكارت ، مالبرانش ، ليبنتز، اسبينوزا ، لوك » ــ مخطوط) . وألقى سلسلة من المحاضرات في جامعة باريس موضوعها : الفلسفة العربية وتطورها (١٩٥٤). كما ألقى محاضرات على طلبة قسم الدراسات الادبية واللغوية في معهد الدراسات العربيـة العالية التابع لجامعة الدول العربية « في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الادب الحديث » (١٩٥٨) (نشر الكتاب في السنة نفسها). واشترك في الحلقة الدراسية التي دعت اليها الجامعة الامريكية في بيروت سنة ١٩٦٢ لاستعراض ما أسهم به المؤلفون العرب في الفكر الفلسفي خلال مائة السنة الاخيرة ، بدراسة مطوّلة عن « الانتاج الفلسفي خلال المائة السنة الاخيرة في العالم العربي : الفلسفة العامة وفلسفة العلوم » (نشرت الدراسة في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : م ٣٦ ، ج ٤ ــ م ٣٧ ، ج١).

ومثل هذه المحاضرات ، كما هو واضح ، لاتقوم إلا على بحث طويل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتنقير وإعمالِ فكر وتحليل للمعلومات وتنسيق لها وتركيب • ففي هذه المرحلة اذن برزت شخصية العالم الباحث واتحدت بشخصية المدرس والمحاضر ، كما هو المفترض والواجب في الاساتذة الجامعيين•

وفي هذه المرحلة اتسعت علاقاته الثقافية فشملت ميادين متعددة وعلى صعد سورية وعربية ودولية • فقد انتخب عضواً في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ممثلا لليونيسكو (١٩٥٥) (وكانت قد نشرت له ترجمته « مقالة الطريقة » لديكارت التي علق عليها وقدم لها بمقدمة مطولة عن ديكارت وفلسفته) • وانتخبته اللجنة الدولية لعلوم التربية عضواً عاملا فيها (١٩٥٨) • واختير عضوا في مجلس المديرين للموسوعة العربية الميسرة (١٩٥٩) • ومثّل سورية في كثير من المؤتمرات الدولية:كمؤتمرات اليونيسكو العامة (جميل صليبا ومدني الخيمي ، « تقرير عام عن الدورة السابعة لمؤتمر اليونيسكو ، المنعقد في باريز بين ١٢ تشرين الثاني و ١١ كانون الاول سنة ١٩٥٢ ») ، ومؤتمر الادباء العرب ، ومؤتمر المجامع العلمية العربية ، ومؤتمر اليونيسكو لدراسة الحاجات التربوية في العالم العربي ، ومؤتمر الشعب الوطنية لليونيسكو ، ورأس مؤتمر اليونيسكو لتدريس العلوم الاجتماعية المنعقد في دمشق سنة ١٩٥٤ • وشارك في كثير من الحلقات والمهرجانات والندوات العربية والدولية ، كحلقة نظم التعليم في العالم العربي ، وحلقة إعداد المربي ، وحلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية في بيروت ، ومهرجاني المتنبي والمعري ومهرجاني ابن سينا في بغداد (١٩٥٢) وفي طهران (١٩٥٤) الخ •• فأصبح الوجه الثقافي الاول لسورية عربيا ودوليا •

وفي سنة ١٩٦٤ أحيل على المعاش ، وبدأت المرحلة الخامسة والختامية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من حياته ، وأدعوها المرحلة البيروتية ؛ فقد نقل سكنه ونشاطه فيها الى بيروت ، وإن أبقى على كثير من صلاته بدمشق • وفيها لم يخالف عن طريق المدرس المحاضر العالم • فقد ندب للمحاضرة في المركز الاقليمي لليونيسكو في بيروت لتدريب كبار موظفي التربية في العالم العربي (١٩٦٤ ــ ١٩٧٠)• وحاضر في الجامعة اللبنانية • ودعي سنة ١٩٦٩ لإلقاء محاضرات على طلبة قسم البحوث والدراسات الادبية واللغوية في معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية (جمعت المحاضرات في كتاب «اتجاهات النقد الحديث في سورية » ١٩٦٩) •

والطابع العام لهذه المرحلة ، وتبدأ في الحقيقة منذ سنة ١٩٦٣ ، أن جيل صليبا أراد فيها أن يقدم ، على أسلوبه أسلوب العالم الباحث لا على أسلوب الترجمة الذاتية أو المذكرات ، كشفاً شبه مستوفى عـن حياته وأعمـاله :

أفاد من عمله محاضراً في كلية التربية ليعطينا حصيلة جهوده في ميدان التربية : اطلاعاً وممارسة ، ادارة وتدريساً ، بكتابه « مستقبل التربية »•

وأفاد من الحلقة الدراسية ليقدم لنا خلاصة عن اطلاعاته ورأيه في انتاج معاصريه مـن المفكرين والدارسين في ميـدان الفلسفة بدراسته « الانتاج الفلسفي » •

وأفاد من دعوته مرتين للمحاضرة في معهـد البحوث والدراسات العربية ليقدم لنا دراسة جامعة عن الادب والنقد الادبي في وطنه الصغير، الشام ، بكتابيه «الاتجاهات الفكرية ••» و «اتجاهات النقد الحديث••»•

وأفاد من محاضراته في الجامعة اللبنانية وبحجة تأليف كتاب حسب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المناهج اللبنانية فجمع لنا في جامع واف بحثه الطويل وتنقيبه وتأملاته في ميدان الفلسفة العربية بكتابه « تاريخ الفلسفة العربية » (١٩٧٠) .

وجمع كل جهوده في ميدان المصطلح الفلسفي في « المعجم الفلسفي » بمجلديه الضخمين .

وكأنما كان يقول : هذا أنا ، هذه حياتي ، هذه جهودي وسعيي في الارض ، خذوها .

وودع الحياة في بيروت في ١٢ تشرين الاول ، وشيع الى مثواه الاخير في دمشق في ١٦ منه سنة ١٩٧٦ . ولم يصدق أبو العلاء حين قال[٢٩] :

وشبيه صوت النعي اذا قيس بصوت البشير في كل نادي

نعم لا يصدق ما دمنا على هذه الارض نفكر وننظر ونسمع بأبعادها ؛ أما من بعيد بعيد وبأبعاد الملأ الاعلى فغيب من غيوب الله .

حياة حافلة بالعمل غنية بالثمار الطيبة . فلو شئت أن أدرسها دراسة تحليلية نقدية محيطة لاقتضاني هذا العمل كتاباً برأسه . فاعذروني ، أيها السادة ، اذا أنا اكتفيت ، في هذا المقام ، بوقفة سريعة عند جميل صليبا العضو العامل في مجمع اللغة العربية بدمشق :

انتخب الدكتور جميل صليبا عضواً عاملا في المجمع في الجلسة المنعقدة في ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩٤٢ ، وصدر المرسوم بتسميته في ٢٨ آذار من السنة نفسها . واختير عضواً في لجنته الادارية في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ ، وبقي فيها حتى استقال منها في ٩ تموز سنة١٩٦٤ ، بعد أن انتقل الى بيروت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وكان ، كدأبه في كل عمل يوكل اليه ، يعمل بجد وانتظـام وانتاج في جلسات الهيئة العامة واجتماعات اللجنة الادارية • وقد مثل المجمع بكفاية ولياقة في كثير من المؤتمرات ، كمؤتمر المجامع العلمية العربية ، واحتفال المجمع العلمي السوفياتي بمرور أربعين عاما على تأسيسه (١٩٥٧)، ومؤتمر المصطلحات الفلسفية الذي دعا اليه المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالقاهرة وانعقد بين ٣ و ٨ أيار سنة ١٩٧١ الخ•

ان مثل هذه الاعمال لاتكشف عنها محاضر الجلسات أو الاجتماعات والتقارير عن المؤتمرات ، ولا يستطيع أن يقدرها قدرها إلا الذين شاركوا صاحبها في العمل • وما دمنا لم نقع على شهادات من هؤلاء ، فستظل هذه الاعمال خافية علينا • وسنجد أنفسنا ، كما في كل مرة وجدنا فيها أنفسنا في مثل هذا الموقف ، تتذكر بالخير اخبارينا القدماء وماكانوا يجمعـون ويروون من حوادث وحكايات وأقوال ونكات ونوادر ولطائف وزلات وخطايا وأحلام وعظائم أعمال وصغائر الخ •• ويزداد تقديرنا لهم حين نطلع على نظريات التحليل النفسي وعلم الطباع •• لما توليه من أهميـة خاصة ، في الكشف عن طباع الانسان ودوافعه الخفية ، لاحلام الليـل والنهار ولمثل هذه الحوادث الصغيرة والهنات الهينة وأشياء من الحياة اليومية تافهة ••

فعدّ عما لم تحصل عليه الى ما وجدته مسجلا مسطوراً • وأعمال جميل صليبا المجمعية المكتـوبة تتـوزع على ثلاثة مجالات : الدراسات والتعليقات التي زود بها مجلة المجمع ، والمخطوطات التي حققها له ، والمصطلحات الفلسفية التي وضعها أو ثبتها وحدد معانيها :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الدراسات الفلسفية :

ان مجلة المجمع هي وجهه المجلو على الناس أو على خاصة منهم في مواعيد محددة ، ونبضه الذي ينبىء عن قوة الحياة فيه • ولقد ظل الدكتور صليبا يمدّ هذه المجلة باستمرار وشبه انتظام من سنة ١٩٤٤ الى وفاته ، بل الى ما بعد وفاته : فقد نشرت له المجلة في الجزء الثاني من المجلد الثاني والخمسين سنة ١٩٧٧ دراسة بست وثلاثين صفحة عن « فكرة الخير عند الفارابي » • وقد أحصيت له في هذه السنين الثلاث والثلاثين ستة وخمسين عنوانا ، ما بين دراسة مطولة قد تمتدّ على جزأين وتتجاوز العشرين أو الثلاثين صفحة وقد تجاوزت احداها الستين ، وتعليق أو نقد قد لايتجاوز الصفحة الواحدة ؛ ذلك الى ما نشره من مصطلحات فلسفية • وقد انصبت معظم الدراسات الجادة على الفلسفة العربية ، وجمع أكثرها في الجزء الاول من كتاب « الدراسات الفلسفية » (١٩٦٤) •

ان الميادين التي جرى فيها الدكتور صليبا كثيرة ، ولكن الميدان المفضل لديه كان الفلسفة العربية • لقد طالت صحبته لها : بدأت حوالي منتصف العقد الثالث من هذا القرن حين كان يحضر رسالة الدكتوراه عن فلسفة ابن سينا ، ولم تنته الا قبيل وفاته حوالي منتصف العقد الثامن حين قدم لمجلة المجمع آخر ما دفع للنشر من دراسات وهي « نظرية الخير عند الفارابي » •

وكان يؤثر تسميتها بالفلسفة العربية • عرض هذا الرأي في رسالة الدكتوراه بحمية الشباب[٣٠] ، ثم بسطه في « تاريخ الفلسفة العربية » بتسامح الشيوخ[٣١] : عرض أولا حجج من يقول بتسميتها فلسفة اسلامية، وأهمها أنها « اسلامية في مشاكلها ، والظروف التي مهدت لها ، واسلامية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أيضا في غاياتها وأهدافها .. » ؛ ثم قفّى بحججه وأهمها : « ان الاسلام الذي أثر في تكوين هذه الفلسفة دين عربي وقرآنه عربي ورسوله عربي وروحه عربية » ثم « ان هذه الفلسفة مكتوبة بلغة عربية » ؛ وانتهى الى القول: «ان هذه الفلسفة كتبت باللغة العربية،ونشأت في الاسلام وترعرعت في جوّه ، فهي اذن فلسفة عربية مطبوعة بطابع اسلامي ، أو فلسفة اسلامية مكتوبة باللغة العربية . ولا مشاحّة في الاسماء .» .

وقد خص الدكتور صليبا ، ولاسيما في شبابه ، بالقسط الاكبر من جهوده التي بذلها في درس هذه الفلسفة ، فيلسـوفي المشائية في المشرق الاسلامي : الفارابي وابن سينا وخصمهما غزالي « المنقذ » و « المقاصد » و « التهافت » . ولكن مشائية ذينك الفيلسوفين لم تكن مشائية خالصة، لان أرسطو وصل اليهما محاطاً بشروح الافلاطونيين الجـدد (اسكندر الافروديسي ، ثامسطيوس ، ثاوفرسطس ، فرفوريوس الصوري ..) ، كما سلّما بصحة نسبة كتب منحولةٍ لأرسطو ، أهمهـا كتاب الأثيولوجيا (الربوبية) وهو مقتطفات من تساعيات أفلوطين (التساعيتين الرابعـة والخامسة) ؛ بل ربما كان في فلسفتهما من أفلاطون وأفلوطين أكثر مما فيها من أرسطو . وكان ذلك واضحا للدكتور صليبا ؛ بل ان كتابه « من أفلاطون الى ابن سينا » لم يكن له من غرض إلا تبيان هذه الحقيقة .

غير أن هذه المشائية المهجنة ، التي تستزج فيها عقلانية أرسـطو بروحانية أفلاطون وأفلوطين ، هي التي كانت ماثلة أمامه حين حاول ، في مقال نشرته مجلة دمشق سنة ١٩٤٠ ، أن يلقي نظرة جامعة على الفلسفة العربية ويستخلص خصائصها العامة التي جعلها أربعاً[٣٣] :

الاولى الصفة العقلية ، وهي أن النفس الانسانية لاتستطيع أن تقلب الصور

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحسية الى معقولات كلية إلا بتأثير العقل الفعال المفارق للعقل الانساني. والثانية الصفة الروحية وهي الاعتقاد بأن النفس الانسانية جوهر روحي وأنها باقية بعد الموت بقاءً كلياً أو فردياً . والثالثة هي الإيمان بوحدة المعرفة والحقيقة . والرابعة هي الميل الى التوفيق بين الآراء المتعارضة ، وبخاصة بين الحكمة والشريعة . ولكنه حين لخص هذا المقال في مقدمة « الدراسات الفلسفية » ، وكان قد توغل في دراسة الفلسفة العربية ، وجد أن عليه أن يضيف[٣٣] : « ولهذه الصفات المختلفة أقسام وفروع ليس من السهل استقصاؤها هنا ، هذا عدا صفات أخرى .. كطبيعةالرازي وإشراقية السهروردي وصوفية الغزالي ووضعية ابن خلدون وغيرها ، وهي كلها تدل على أن الفلسفة العربية معقدة العناصر ، مشتبكة الاصول والفروع ، كثيرة الغايات والمقاصد ..» .

وجاء في مقدمة « الدراسات » : « وجميع ما بينته في هذا الجزء يدور حول مسألة فلسفية واحدة ، أعني مسألة الحقيقة والعقل والمعرفة »[٣٤]. فإذا استعرضنا فصول الكتاب ، نجدها موزعة على قسمين : عالج في فصول القسم الاول الثلاثة بعض المسائل الفلسفية العامة : الطريقة الرمزية في الفلسفة العربية ، معاني العقل في الفلسفة العربية ، معاني الحدس والفكر ، واتصال هذه المسائل بنظرية المعرفة واضحة . أما فصول القسم الثاني الستة وهي : فلسفة أبي الهذيل العلاف ، نظرية المعرفة عند الكندي ، نظرية الخير عند ابن سينا ، المدينة العادلة في نظر ابن سينا ، الغزالي وزعماء الفلاسفة ، حدود العقل عند الغزالي ــ فَصِلَةُ الفصلين الثاني والسادس منها بنظرية المعرفة واضحة أيضا ، وقد يمكن ببعض الجهد الامساك بمثل هذه الصلة بالنسبة للفصول الباقية . فمثلا ، في نظرية الخير عند ابن سينا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يسكن القول : ان العقل الفعال هو الذي يفيض الصور على المادة وهـو الذي يفيض المعقولات على النفس الانسانية ، والصور والمعقولات متفقة لوحدة المصدر ، ولما كانت هذه الصور لا أجل ولا أكمل ولا أكثر خيرية منها ، كانت معرفتها ، والمعرفة هي كمال الانسان وخيره من حيث هو كائن عاقل ، هي الخير الخالص المطلوب لذاته .

و « الدراسات » (المقالات المجموعة فيها كتبت بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٥٥) لم تخرج إلا قليلا عن حدود « مشائية المشرق » ونقدها من قِبل الغزالي (من هذا القليل مقال « فلسفة العلاف » ، ومافي شخص العلاف من غرابة في الخلق والذكاء والافكار يدعو فعلا للوقوف عنده ، وهو على كل حال أحد المعالم الرئيسة في مذهب المعتزلة وعلم الكلام بل في الفلسفة العربيـة عامة) . فالدكتور صليبا مثلا في « معاني العقل » و « نظـرية المعرفة عند الكندي » يمر مروراً سريعاً على مفهوم العقل عند علماء الكلام من معتزلة وأشاعرة وعند اخوان الصفا وعند الصوفية ، ولكنه يسير بنا مستأنياً باسطاً القول في الطريق المبتعدة عن أرسطو ومقالته بوجود عقلين: منفعل" وفاعل ، هما بمثابة المادة والصورة ، والفاعل منهما مفارق وهو في جوهره فعل محض وهو أزلي أبدي . الى مقـالة إسكندر الافروديسي بعقول ثلاثة : عقل هيولاني وعقل بالملكة وعقل فاعل ، وهو عنده هو الله. الى مقالة الكندي وقد جعل العقول أربعة : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل ظاهر وعقل أول ، والظاهر عنده هو العقل بالفعل وقد أخرجته النفـس فأصبح موجوداً لغيرها بالفعل ، أما الاول فهو العقـل الذي هو بالفعل أبداً وهو مبدأ كل المعقولات وعلتها وهوهو الله . الى مقالة الفارابي بأربعة عقول أيضا : عقل بالقوة وعقل بالفعل وعقل مستفاد وعقل فعال ، والمستفاد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هو العقل بالفعل بعد أن تحصل له المعقولات كلها أو جلها معقولة بالفعل ، أما العقل الفعال فيصبح عنده لأول مرة العقل العاشر أو عقل فلك القمر المهيمن على عالم الكون والفساد وواهب الصور والمعقولات جميعا. الى مقالة ابن سينا الذي زاد عقلا خامسا فأصبحت : العقل الهيولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال ، فخص العقل بالملكة بالمعقولات الاولى وهي المقدمات التي يكون بها التصديق ، والعقل بالفعل بالمعقولات الثانية وهي العلوم المكتسبة . فإذا بدأ بنا طريق العودة الى مفهوم أرسطو أو ما يقرب منه عند ابن رشد ، طوى الطريق بسرعة فلم يتوقف عند ابن باجّة الذي رجع ، على ما يبدو ، الى القول بعقلين : العقل الهيولاني والعقل الفعال « الذي هو ثواب الله ونعمته على من يرضاه من عباده »(٣٥) .

وكذلك كان دأبه في الفصول الاخرى . ففي « الطريقة الرمزية » وقف طويلا عند قصة سلامان وأبسال لابن سينا وقصة حي بن يقظان لابن الطفيل يعرضهما ويؤول رموزهما ، بينما لم تنل العوالم الرمزية للصوفية والفرق الباطنية إلا التفاتة سريعة جاءت بمناسبة تحليل « عينية ابن سينا »(٣٦) . ولم يكن حظ نظرية التأويل « الرشدية » أوفر . وفصل « معاني الحدس والفكر » يكاد يكون وقفاً على آراء ابن سينا الواردة في كتابه « الاشارات والتنبيهات » .

يبدو لي أن جميل صليبا بدأ درس الفلسفة العربية بابن سينا ، في أواسط العقد الثاني ، ثم رجع الى أسلافه : الفارابي خاصة والكندي .. كما مضى الى ما لقيته هذه الفلسفة من نقد ورفض عند الغزالي ، ومن قبول في وجهها الإشراقي عند ابن الطفيل . ولبث طويلاً في هذه الدائرة:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يتعمق بالدراسة ويتوسع حتى كاد يحيط بفلسفتي الفارابي وابن سينا ، ولم يبرحها إلا لماماً : مرة مثلا الى ابن خلدون وأخرى الى أبي الهذيل .. ذلك حتى العقد السابع حين بدأ يوسع دائرة اهتمامه ، فشملت ابن رشد، متابعةً من جهة لآثار « تهافت » الغزالي في المغرب حيث ردّ ابن رشد بـ « تهافت التهافت » ، بعد أن دمّر الفلسفة في المشرق كما كان يزعم المستشرقون . ولتبين الفروق بين فلسفتي ابن سينا وابن رشد[٣٧] ، فكانت الدراسة التي أدرجها في « تاريخ الفلسفة العربية »[٣٨] ، والمقال « بين ابن سينا وابن رشد » الذي نشره في مجلة المجمع[٣٩] . ومدّ دراسته للغزالي فتجاوزت الغزالي ناقد الفلسفة الى غزالي علم الكلام والغزالي المتصوف ، كما في دراسته له في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٠] ، ومقاله « الغزالي وعلم الكلام » المنشور في مجلة المجمع[٤١] . وكذلك وسع دراسته لابن خلدون في « تاريخ الفلسفة العربية »[٤٢] .

ولم يخالف الدكتور صليبا عن سنة الاولين (الفلاسفة ومؤرخي الفلسفة العرب والفلاسفة الأوربيين في العصر الوسيط) والآخرين (المستشرقين ومن نهج نهجهم من الباحثين العرب والمسلمين) في فهمهم للفلسفة العربية وتخطيطهم لحدودها : وهي أنها هذه الفلسفة الموروثة عن يونان ، وبخاصة عن أفلاطون وأرسطو ، وقد امتزجت بها أفكار من العقائد الشرقية وأفكار من الدين الاسلامي[٤٣] . ولم يتضح الا منذ عهد غير بعيد ، حوالي منتصف هذا القرن ، عند المستشرقين وبعض الباحثين من المسلمين ، اتجاه جديد يفهم الفلسفة العربية فهما جديدا ، يمد حدودها وتاريخها الى أبعد بكثير من الحدود والتواريخ السابقة . إذ « حيثما استقر المقام «بالتحقيق» الفلسفي في الاسلام ، كان التفكير عندها منصباً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على أمر أساسي هو النبوة أو الوحي النبوي ، وعلى المسائل والمواقف التفسيرية التي يتضمنها هذا الامر الاساسي ؛ وعندها تأخذ الفلسفة شكل فلسفة نبوية أو حكمة لدنّية .. وفي الاسلام خصوصاً ، يظل تاريخ الفلسفة وتاريخ الروحانية غير قابلين للانفصال »(٤٤) .

وقد وصل هذا الاتجاه الجديد الى الدكتور صليبا في المرحلة الاخيرة من حياته ، فتنبه الى « أن هنالك الى جانب الفلاسفة الذين نسجوا على منوال اليونان فلاسفة آخرين غيرهم نقدوا الفلسفة اليونانية وجاوزوا الحد الذي وقفت عنده ، وليس أدل على ذلك من اشراقية السهروردي وصوفية الغزالي وواقعية ابن خلدون ، فإن في آرائهم وآراء بعض الفرق الاسلامية ابتكارات كثيرة .»(٤٥) اننا نقع في مقدمة « الدراسات » على ما يشبه الاشارة الى أنه قام بدراسات في هذه الميادين الجديدة(٤٦) ؛ فهل عنى بها ما كتبه عن صوفية الغزالي وفلسفة ابن خلدون التاريخية والاجتماعية ؟ انني لم أعثر له على دراسة ، مثلاً ، لحكمة الإشراق عند السهروردي ، فهل هناك دراسات من هذا النوع مازالت مخطوطة ؟

الرسالة الجامعة :

قلت سابقا إن أحد مجالات نشاط الدكتور صليبا المجمعي كان تحقيق مخطوطات من التراث . فقد حقق الرسالة الجامعة ، ونشرها المجمع : الجزء الأول سنة ١٩٤٨ والجزء الثاني سنة ١٩٥١ . واعتمد في التحقيق على أربع مخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية والخزانة التيمورية في دار الكتب المصرية وفي طهران وفي دار الكتب الوطنيـــة في باريس . واستأنس بمخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، واطلع على مخطوطة في مكتبة أحد الأمراء في سلمية ، وهي التي نُشرت فيما بعد بعنـــوان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« جامعة الجامعة » . ووصف المخطوطات الاربع ، ما عدا الباريسية منها فقد اعتمد على وصف الدكتور عادل العـوا وكذلك على نسخته التي انتسخها عنها .

وكانت طريقته في التحقيق أن يقرأ النص في مخطوطة ويقابله بما في المخطوطات الاخرى ثم يختار الاصح والاصـدق ، ويشير الى الروايات المختلفة ، حين توجد ، في ذيل الصفحات .

وحين اصطدم بكتابات على المخطوطات تنسب الرسالة الى الحكيم المجريطي : فعلى الصفحة الاولى من مخطوطة الظاهرية تعليق « لأحـد الفضلاء » يؤكد هذه النسبة ، وعنوان المخطوطة التيمورية يقول «رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا للمجريطي رحمة الله عليه » ، أما مخطوطة طهران فمخرومة من أولها ، ومخطوطة باريس ليس عليها ما يشير الى مؤلفها ، ولكن البارون دوسلان في الفهرست الذي نظمه للمخطوطات العربية في دار الكتب الوطنية بباريس ينسبها للمجريطي .

وتجاوزت المسألة كتابات على مخطوطات ، فحاجي خليفة (١٠١٧ـ ١٠٦٧) يقول في « كشف الظنون » : إن هناك كتاباً اسمه رسائل اخوان الصفا للحكيم المجريطي أولها الحمد لله الذي خلق فسوى وأنه نسخة مغايرة على نمط اخوان الصفا[٤٦] ؛ وهذا الوصف ينطبق على الرسالة الجـامعة .

والمحبي (ـ ١١١١) في « خلاصة الاثر »[٤٧] يروي عن محمد بن عبد العزيز بن حسن جان الشهير بالبهائي مفتي الديار الرومية (١٠١٠ ـ ١٠٦٤) : أنه سئل عن كتاب إخوان الصفا وحكم قراءتها فكتب : أنا الفقير رأيتها منسوبة للمجريطي وما تحققت من هو وما أخباره .. وينقل عن ابن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حجر المكي (٩٠٩ ــ ٩٧٤) من فتاويه أنه سئل عن صاحب رسائل اخوان الصفا وما ترجمته وما حال كتابه فأجاب بقوله : ... الصواب أن مؤلفها مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي .. وكتابه فيه أشياء حكمية وفلسفية وشرعية وممن شدّد عليه ابن تيمية ولكنه يفرط في كلامه فلا تغتر بجميع ما يقول . وعلى ذلك تكون المسألة قد تجاوزت الرسالة الجامعة الى رسائل اخوان الصفا وأصبحت جميعاً من تأليف المجريطي .

أقول : حين وجد الدكتور صليبا نفسه تجاه هذه الاقوال وجد أن عليه أن يقوم بمحاولة في تحقيق نسبة هذه الرسالة . وهذا ما فعله في المقدمة :

بدأ فترجم للحكيم المجريطي مسلمة بن أحمد بن قاسم بن عبد الله المجريطي القرطبي الاندلسي أبي القاسم المولود في مجريط والمتوفى فيها سنة ٣٩٨ ــ معتمداً على القاضي صاعد (ــ ٤٦٣)[٤٨] وابن بشكوال (٤٩٤ ــ ٥٧٨)[٤٩] والقفطي (ــ ٦٤٦)[٥٠] وابن أبي أصيبعة (ــ٦٦٨)[٥١] وابن خلدون (٧٣٢ ــ ٨٠٨)[٥٢] والمقري (٩٨٦ ــ ١٠٤١)[٥٣] . فذكر شهاداتهم لــه بعلو الكعب في الرياضيات والفلك والمعاملات . وأن له كتابين[٥٤] : « رتبة الحكيم » في الكيمياء و « غاية الحكيم » في السحر والطلسمات ، ليخلص الى هذا النص من « رتبة الحكيم » : « وقد قدمنا من التآليف في العلوم الرياضية والاسرار الفلسفية رسائل استوعبناها فيها استيعاباً لم يتقدمنا فيها أحد من أهل عصرنا البتة ، وقد شاعت هذه الرسائل فيهم .. ولا يعلم من ألف ولا أين ألف غير الحذاق منهم . لما دأبوا على مطالعتها .. علموا أنها من تأليف زمانهم وعصرهم .. » . فتساءل : هل هذه الرسائل المشار إليها هي الرسالة الجامعة ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بدأ فأسقط قيمة الكتابات الموجودة على المخطوطات لأنها مقحمة على النصوص وليست بخطها . ثم لاحظ أن المؤرخين حتى القرن الحادي عشر ، والذين وصلت إلينا كتاباتهم ، لم ينسبوا له مثل هذه الرسالة ، وأن الاسلوب في هذه الرسالة يختلف تمام الاختلاف عن الاسلوب في « رتبة الحكيم » و « غاية الحكيم » ، فهو في هذين معقد مستغلق بينما هو في تلك يوشك أن يكون أدبيا ، ويشبه الاسلوب في رسائل إخوان الصفا ، ذلك الى أن أبواب الرسالة هي أبواب الرسائل نفسها وإن اختلفت شيئاً الفصول .

ثم إن الرسالة والرسائل في مواضع كثيرة منها يحيل كل طرف منها الى الآخـر .

فقد جاء في الرسالة الجامعة مثـلا : « .. ولذلك شرطنا في كتبنا وقدمنا في رسائلنا أنه لا يحل لأحد من أهل الاديان ، أي دين كان ، أن يتهجم على هذه الرسالة وأن ينظر فيها ويطلع عليها إلا بعدما يرتاض بقراءة ما بين يديها من الرسائل المقدمة عليها لتتهذب نفسه .. فإن قراءته للرسائل المتقدمة تكون معينة له على القراءة في هذه الرسالة »[٥٥] . وجاء فيها « فهكذا يكون لإخوان الصفاء كتاب يعرف بهم ولغة فيما بينهم لايشاركهم فيها سواهم »[٥٦] . كما جاء في رسائل إخوان الصفا مثلاً : « .. وتليها الرسالة الجامعة لما في هذه الرسائل المتقدمة كلها ، المشتملة على حقائقها بأسرها .. والرسالة الجامعة مـن رسائلنا هي منتهى الغرض لما قدمناه وأقصى المدى ونهاية القصد وغاية المراد »[٥٧] . وجاء فيها : « وأما العبادة الثانية فهي العبادة الفلسفية الإلهية وهي الإقرار بتوحيد الله عز وجل ، وقد تقدم ذكرها في صدر الرسالة الجامعة »[٥٨] .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهكذا ينتهي به التحقيق الى القـول : « إما أن يكون المجريطي مؤلف الرسالة الجامعة هـذه ومؤلف رسائل اخـوان الصفا معا ، وهذا مشكوك فيه للاسباب التي قدمناها . وإما أن يكون مؤلف رسالة في هذا الموضوع ولكنها غير هذه على كل حال . والغالب على الظن أن المجريطي لم يؤلف قط رسائل اخوان الصفا ولا الرسالة الجامعة وانما نحله إياها الوراقون .. » . الى هذا الحكم ينتهي الدكتور جميل صليبا ، وهـو واضح لمن له أقل إلمام بأسلوب العلماء المتحفظ الحذر : إنه يثبت أن مؤلف رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة واحد ، وينفي أن يكون الحكيم المجريطي ويقف ، إذ لم يشأ ، أو لم يجد المقدمة تحتمل ، أن يزج بنفسه في المشكلة الشائكة ، مشكلة من هو مؤلف أو من هم مؤلفو رسائل اخوان الصفاء والرسالة الجامعة .

فمن عجب أن يأتي من بعد ذلك من يقول : « أما رسالة الجامعة التي حققها الدكتور صليبا ونسبها للمجريطي ظلماً وعدواناً ... ولا أدري كيف تجرأ الدكتور صليبا على نسبة هذه الرسالة الى المجريطي وهو يعلم تمام العلم بأنه لم يكتبها ولم يؤلفها ، وكل ما هنالك أنه نقلها معه من المشرق الى المغرب .. »[٥٩] .

إن الباحث عن أوليات جماعة إخوان الصفا ورسائلهم يخبط طويلاً دون أن يبلغ غاية يرضاها . انها ، الجماعة والرسائل ، ولدت في ظـلام التخفي ، أو الستر كما يقول الاسماعيلية ، ولم تبدأ بالظهور إلا بعد تغلب البويهيين على بغداد سنة ٣٣٤ . ونحـن مدينون لأبي حيان التوحيدي (ـ ٤١٤) في كتابه « الإمتاع والمؤانسة » بأول نص يتحدث عن اخوان الصفا والرسائل . إذ يروي[٦٠] أن الوزير أبا عبدالله الحسين بن أحمد بن سعدان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وزير صمصام الدولة البويهي سأله عن زيد بن رفاعة ، فوصفه بالذكاء الغالب والاطلاع الواسع والتصرف في كل فن . فسأله الوزير : « فعلى هذا ما مذهبه ؟ » فأجابه :

« لا ينسب لشيء ولا يعـرف برهط .. وقد أقام بالبصرة زماناً طويلا ، وصادف بها جماعة جامعة لأصناف العلم وأنواع الصناعة ، منهم أبو سليمان محمد بن معشر البيستي ويعرف بالمقدسي وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني وأبو أحمد المهرجاني والعـوفي وغيرهم ، فصحبهم وخدمهم . وكانت هـذه العصابة قد تآلفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به الطريق الى الفوز برضوان الله والمصير الى جنته . وذلك أنهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، وذلك لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية . وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال .

« وصنفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة : علميها وعمليها، وأفردوا لها فهرستاً ، وسموها رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ولقنوها للناس .. وحشوا هذه الرسائل بالكلم الدينية والامثال الشرعية والحروف المحتملة والطرق الموهمة .. قد رأيت جملة منها ، وهي مبثوثة من كل فن تتفاً بلا إشباع ولا كفاية ، وفيها خرافات وكنايات وتلفيقات وتلزيقات ... » .

وحين سأله الوزير : أفما سمع شيئاً من هذا المقدسي ؟ قال : .. انه هيج يوماً فاندفع فقال : « الشريعة طب المرضى والفلسفة طب الاصحاء ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والانبياء يطبون للمرضى .. فأما الفلاسفة فإنهم يحفظون الصحة على أصحابها ... غاية مدبر المريض أن ينتقل به الى الصحة .. وغاية مدبر الصحيح أن يحفظ الصحة ، واذا حفظ الصحة فقد أفاده كسب الفضائل وفرّغه لها .. وصاحب هذه الحال فائز بالسعادة العظمى .. وقد صار مستعداً للحياة الإلهية ... فإن كسب من يبرأ من المرض بطب صاحبه الفضائل أيضا ، فليست تلك الفضائل من جنس هذه الفضائل ، لأن احداهما تقليدية والاخرى برهانية .. وهذه روحانية وهذه جسمية..»

ويبدو من هذا النص أن أبا حيان قد عرف القوم وآراءهم بالعشرة والمناظرة والقراءة ، وأن رسائلهم قد وجدت طريقها الى حلقات المثقفين والخاصة في ذاك الزمان .

وعن أبي حيان ، على الاغلب ، أخذ مؤرخو الحكمة والحكماء : فالبيهقي (ــ ٥٦٥) يذكر أسماء الجماعة مع قليل من التحريف ويضيف «ألفاظ هذا الكتاب (الرسائل) للمقدسي»[٦١] . والقفطي ينقل كلام أبي حيان على غرد[٦٢] . وحاجي خليفة يذكر الاسماء نفسها مع بعض التغيير. ويمضي هذا الخط الاول في نسبة الرسائل حتى مستشرقي العصر الحديث والكتاب العرب والمسلمين فيه : ينقلون ماذكر التوحيدي ، سواء أوافقوه أم خالفوه .

ولكن حاجي خليفة يفرد فقرة خاصة ثانية لرسائل يدعوها رسائل اخوان الصفا ، ويقول إنها تختلف عن الاولى وإن كانت على شاكلتها (وهي الرسالة الجامعة ــ كما ذكرنا من قبل) وينسبها للمجريطي . ومن قبله نسب ابن حجر المكي في فتاويه والبهائي مفتي الديار الرومية ــ كما نقل عنهما صاحب خلاصة الاثر ــ الرسائل كلها للمجريطي . فلا بد أن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يكون قد وقع الى كل منهم نسخة أو أكثر من الرسالة أو الرسائل منسوبة للحكيم الاندلسي ، أو نقلوا عمن وقع له مثل ذلك . يذكر بروكلمان[٦٣] أن في مكتبة الاسكوريال مخطوطة بعنوان « مختصر رسائل اخوان الصفا لمسلمة بن أحمد المجريطي » . وسواء أكانت هذه المخطوطة مختصراً حقاً للرسائل أو كانت الرسالة الجامعة ذاتها ، وسواء أختصر مسلمة الرسائل أم لم يختصرها ، فغير مستبعد أن يقع مثل هذا الوهم : فمسلمة هو الحكيم وإليه انتهت الحكمة في الاندلس ، وهو ــ أو تلميذه الكرماني على قول صاعد ــ الذي حمل معه الرسائل من المشرق ، فإذا وقعت هذه الرسائل أو مختصرها ، إن وجد ، أو الرسالة الجامعة لطلاب الحكمة في الاندلس من بعده ، وهي خلو من اسم المؤلف ، فقد يظن بعضهم ، أو يوقن ، أنها من تأليف حكيمهم . وهكذا تردّ الاندلس الى المشرق رسائله وقد وسمتها بأنها صنعة أندلسية . وقد تولى الدكتور جميل صليبا ، كما عرضنا من قبل ، تزييف هذا الخط .

وهناك أيضاً خط ثالث . فالنصوص التي كانت متداولة حتى أوائل الربع الثاني من هذا القرن ، وأكثرها نصوص سنية ، كانت تحيط إخوان الصفا باتهامات قوية في صحة الدين ، وذلك بين في نصوص التوحيدي ، أو بالصلة الوثيقة بالعقائد السرية الباطنية ، فابن تيمية[٦٤] مثلا يخلط بين اخوان الصفا وبين مختلف المذاهب الباطنية ، والبهائي المفتي يقول[٦٥] : « ... وحاصل تلك الرسائل ليس إلا مذهب الباطنية الاسماعيلية » . وكان يلوح في هذه النصوص دعوى إما مرفوضة أو مشكوك بها شكّاً شديداً . فالقفطي يقول : « .. ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها ، وكل قوم قالوا قولا بطريق الحدس والتخمين ، فقوم قالوا هي من كلام بعض الأيمة من نسل علي بن أبي طالب واختلفوا في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اسم الإمام الواضع لها اختلافا لايثبت له حقيقة .. » وابن حجر المكي أجاب في فتاويه حين سئل عن صاحب رسائل إخوان الصفا[٦٦] : « نسبها كثير الى جعفر الصادق وهو باطل .. » . والنصوص القليلة غير السنية أقرت هذه الصلة . قال غلام أحمد القادياني[٦٧] (١٢٥٢ ــ ١٣٢٦) : « ولما خشي الإمام أحمد بن عبد الله أن يزيغ المسلمون عن الشريعة المحمدية الى علوم الفلاسفة ألف رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء وجمع فيها من العلوم والحكمة والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. » .

ولكن منذ حوالي خمسين سنة أخذت تبرز الى النور نصوص كثيرة من الاديبات الاسماعيلية ، إما من قبل الباحثين من مستشرقين وشرقيين وإما من جهة الاسماعيليين أنفسهم . وفي هذه النصوص تأكيد لتلك الدعوى وتحديد ، على اختلاف ، للإمام الذي اليه يرجع تأليف الرسائل والرسالة الجامعة أو الإشراف على تأليفها .

جاء في رسالة « الأصول والأحكام » للداعي أبي المعالي حاتم بن عمران بن زهرة (٤٤٩ ــ ٤٩٨) : « فلما انتقل الإمام محمد بن اسماعيل الى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد الوفي ، وهو أول من ستر نفسه عن الاضداد من أهل عصره المخالفين ... وكنيت الدعاة بأسمائهم تقية عليهم .. وتاهت فيهم أولو الضلال حتى قالوا ان الإمام .. هو عبد الله ابن ميمون .. وزعم البعض أنه عبد الله بن سعيد بن الحسين أو عبد الله ابن مبارك أو عبد الله بن حمدان . وإن هؤلاء الاربعة قد اجتمعوا مع غيرهم وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنان وخمسون رسالة »[٦٨] .

وفي كتاب « عيون الاخبار وفنون الآثار » (السبع الرابع) للداعي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المطلق ادريس عماد الدين القرشي (ـ ٨٧٢) : « وكان المأمون حين احتال على علي بن موسى الرضى بن جعفر الصادق (ع) ظن أن أمر الله قد انقطع .. وأنه قد قطع ذرية الإمامة .. سعى في تبديل شريعة محمد ﷺ وعلى آله وتغييرها ، وأن يرد الناس الى الفلسفة وعلم اليونانيين .. فحين شاع ذلك منه وظهر عنه ، وخشي الإمام عليه السلام أن يميل الناس الى مازخرف فألف رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، وجمع فيها من العلوم والحكم والمعارف الإلهية والفلسفية والشرعية .. ثم إن الإمام (ع) أمر أن تبث تلك الرسائل في المساجد ، لتقوم بها على المخالفين البراهين والشواهد ، فحين وقع الناس عليها ، رفعت الى المأمون بن هارون ، فعلم أنه لم يصنع شيئاً ، وأن مارامه من قطع حبل الإمامة لايكـون ... »[٦٩] ؛ والإمام المقصود هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، المعروف بأحمد الوفي.

وهناك نصوص اسماعيلية أخرى ، وفي النصوص جميعاً اضطراب وبينها اختلاف .

وبعد ، ما الرأي ؟

يلاحظ الدكتور عبـد الرحمن بدوي[٧٠] أن هنـاك اختلافا بين الاسـماعيلية واخوان الصفا في مسألة وجـود الموجودات عـن الله : فالإسماعيلية ، وشيخ فلاسفتهم أحمد حميد الدين الكرماني (توفي بعد سنة ٤١١) ، يرون أن وجود الموجودات عن الله لايتم بالفيض بل بالإبداع، بينما يأخذ اخوان الصفا بنظرية الفيض الافلاطونية الحديثة . ذلك الى فوارق مذهبية أخرى كثيرة . ويلاحظ أن اخوان الصفا كثيرا مايسخرون من المسبعة ، فيقولون مثلا : « وقد توغلت المسبعة في الكشف عن الاشياء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السباعية فظهر لهم منها أشياء عجيبة ، فشغفوا بها وأطنبوا في ذكرها ، وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات »• وينتهي الى أنه يمكن « أن نقرر بكل يقين أن اخوان الصفا ليسوا من الاسماعيلية في شيء ، بل لكل منهما مذهب مستقل مباين لمذهب الآخر » •

ولكن ملاحظات الدكتور بدوي غير كافية لنزع صفة الاسماعيلة عن إخوان الصفا • فالمذهب الاسماعيلي قد عانى منذ نشأته من اختلافات وصلت الى أصل العقيدة ، وخضع في تاريخه للكثير من التطورات • ولم يكن ذلك خافيا على الدكتور بدوي(٧١) حين تحدث عن نشأة الاسماعيلية وعن الخلاف حول الإمام ، من هو بعد جعفر الصادق ، أهو اسماعيل أم محمد بن اسماعيل ؟ وحول الأئمة : هل تتجلى فيهم الألوهية أم لا ؟ وحين تحدث عن اسماعيلية منتصف القرن الثاني واسماعيلية منتصف القرن الثالث الخ••فاذا سلمنا للاسماعيليين بأن الرسائل ترجع الى عهد الإمام المستور أحمد الوفي (ـ٢٢٩) وأنها ألفت رداً على سياسة المأمون المذهبية والعملية،تكون قد ألّفت في أوائل القرن الثالث،ذلك بينما ترجع مؤلفات كبار مفكري الاسماعيلية الى القرن الرابع بل الى زمن متقدم في القرن الرابع• وفي أثناء ذلك اختلف الوضع بالنسبة للاسماعيلية : فقد خرجت من الستر الى الظهور ، وأصبحت قوة في المجتمع الاسلامي ، وعقيدة لدولة ، فخضعت بالتالي للضرورات التي تفرضها الدولة ، ودخلت في صراع فكري وسياسي قاس مع المذاهب الفلسفية ، وبخاصة مع المذاهب الاسلامية ، وعقيدة الخلق من العدم ، مثلا ، تقع في الاساس من الاسلام •

اذا كانت حجج الدكتور بدوي غير كافية ، فهل نقبل دعوى الاسماعيليين نسبة الرسائل الى الإمام أحمد ، ونرى في الجماعة التي تحدث

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عنها التوحيدي جماعة اسماعيلية متخفية تولت ، أو كلفت بإشاعة الرسائل وبث ما فيها من عقائد بين العامة ، على أن لا نعني بهـذه الكلمة المعنى المتداول بل الذين أوتوا القدرة على معرفة الحقيقة الروحية وراء ظاهر الشريعة ؟ اننا في الواقع نحس نبض الاسماعيلية في الرسائل على الرغم من الحذر الشديد الذي تتخذه ؛ ولكننا نشتم أيضاً من النصوص الاسماعيلية التي ترجع الرسائل الى الإمام التقي روح الدعاية العقائدية والسياسية ؛ فلا المأمون التاريخي الذي نعرفه حاول أن ينقض الرسالة المحمدية ويحمل الناس على فلسفة يونان ، ولا مذهب الاعتزال الذي تبناه يحمل من الفلسفة أكثر مما تحمل الرسائل ذاتها . فهل نقول : إن الرسائل من عمل جماعة من المفكرين الاحرار تشبعوا بالفلسفة ، وبخاصة الفلسفة العرفانية التي كانت تملأ الجو الفكري في زمانهم ، فلما عثر عليها الاسماعيليون وجدوا فيها ضالتهم : أنها خير موطىء لعقائدهم وأفضـل ما يمكن استعماله في تهيئـة أذهان أولئك المثقفين القلقين الحائرين لقبولها ، فاستولوا عليها وأحاطوها بأسطورة الميلاد تلك ؟

يرى إيفانوف لحل هذه الصعوبة التاريخية ، ويوافقه على رأيه هنري كوربان[٧٢] ،أنه وجدت منذ عهد الإمام نواة لهذه الرسائل ما لبثت أن توسعت مع الزمن حتى أصبحت رسائل الاخوان .

وبعد هذا العرض ، غـير المستكمل على كل حال ، لايسعني إلا التوقف بانتظار اكتشاف نصوص أخرى تميل بكفة الميزان وتفيد بعض الاطمئنـان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كتاب الحيـدة :

وحقق الدكتور صليبا «كتاب الحيدة» لعبد العزيز الكناني(ـ٢٤٠)، ونشره المجمع سنة ١٩٦٤ • وهذا الكتاب محضر لمناظرة جرت بحضـرة الخليفة المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ ، خلافته : ١٩٨ ـ ٢١٨) بين مؤلفه وبين بشر المريسي (ـ ٢١٨) حول مسألة خلق القرآن • وعنـوان الكتاب « الحيدة » مصدر لفعل حاد بمعنى مال وزاغ ، ويطلق في أصول المناظرة على فعل المسئول اذا هو حاد وزاغ في جوابه عن موضوع سؤال السائل الى موضوع آخر تفاديا للاحراج والتورط • وكتاب الحيدة هذا مكون من قسمين : الاول يتصل بالمناظرة وما سبقها ورافقها من ملابسات ، والثاني اعتذار للمأمون عما فرط من المؤلف إذ أملى وريقات عما جرى في المناظرة على بعض حملة المحابر فاستثار غضب المأمون • ولذلك جـاء عنوانه في كشف الظنون[٧٣] « الحيدة والاعتذار » •

واتبع الدكتور صليبا في التحقيق الطريقة نفسها التي اتبعها في تحقيق الرسالة الجامعة • واعتمد على أربع مخطوطات وعلى طبعة مصرية قديمة سقيمة • ثلاث من المخطوطات محفوظة في دار الكتب الظاهرية ، والرابعة في مكتبة توبنجن في ألمانيا •

وقدم للكتاب بمقدمة ضافية • بدأها بالتعريف بالمؤلف ، بعد أن رجع الى مصادر كثيرة تزيد على العشرة ابتداء من فهرست النديم وانتهاء بأعلام الزركلي • وهو عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز بـن مسلم الكناني المكي • أخذ الحديث عن عدد من الشيوخ منهم سفيان بن عيينة (١٠٧ـ ١٩٨)ولكنه كان قليل الحديث • ولزم الشافعي (١٥٠ـ٢٤٠) وصحبه في سفره الى اليمن حتى عرف به وبان أثره عليه في كتاب الحيدة في حديثه عن الخصوص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والعموم والبيان . ولما أتته الى مكة أنباء المحنة بالقول بخلق القرآن في بغداد شد الرحال اليها مصطحبا ولده ، وفي مسجدها الجامع أعلن على الملأ إنكاره لخلق القرآن ، فحمل الى عمرو بن مسعدة الذي أوصله الى مجلس المأمون ، ورتبت مناظرة بينه وبين بشر المريسي فقطعه ، على قوله . ذكر بالدمامة حتى لقب بالغول . ولكنه كان ذرب اللسان سليطه ، كما يبدو في الحيدة . وكان جريئاً ، ولولا جرأته ما ركب الصعاب وغرر بنفسه ، ولكن يبدو لي أنه في جرأته يمتزج التدين بطلب الاشتهار . في احدى مخطوطات الظاهرية نص أقحم على الكتاب مروي بالسند نفسه الذي روي به الكتاب يقول : « جاء عبد العزيز الى أبي عبد الله أحمد بن حنبل رحمه الله وهو في الحبس فقال : ان هذا الامر الذي أنت فيه ليس تطيقه على دقته فاذكرني ، فبعث إليه أبو عبد الله : أنا قد وقعت وأخاف أن أذكرك فأشيط بدمك فيكون قتلك على يدي ، ولأن أقتل أنا أحب إلي ، فانصرف بسلام » . ويرى الدكتور في هذا الخبر دليلا على جرأة عبد العزيز ، ولكنه ، ان صح ، قد لايكون أكثر من تعزية أو مجاملة ، اذ ماذا يمكن أن يكون جواب الإمام الورع إلا ما كان ؟ ثم بأي شيء يذكره وقد استقل بمناظرة سارت بذكرها الركبان في مجلس الخليفة نفسه حول المسألة التي يمتحن بها الإمام نفسها ؟

ويحشره صاحب الفهرست (ـ ٣٨٠) بين الزهاد والمتصوفة من طبقة الحارث ويجعل منه متكلماً مقدماً[٧٤] ، ولم يذكره ، فيما عدا النديم والاسنوي ، أحد ممن ترجم له (ووقعت لي ترجمته) بالكلام ، فلا بد أنهما غرتهما « المناظرة » . وجاء في الفهرست أيضا أن له كتبا ، لم يسمها ، في الكلام والزهد ، وكذلك لم يذكر له مترجموه غير كتاب « الحيدة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والاعتذار » كتاباً ؛ ويذكر هو في « حيدته » أن له كتابين هما : رسالة في فضل بني هاشم وكتاب السنن والاحكام .

حكم الذهبي (٦٧٣ ــ ٧٤٨) في « ميزان الاعتدال » أنه « لم يصح إسناد كتاب الحيدة اليه فانه وضع عليه »(٧٥) . ووافقه السبكي (٧٢٧ـ ٧٧١) في «طبقاته» على هذا الحكم لأن في الكتاب «أموراً مستشنعة»(٧٦) . فوجد الدكتور صليبا أن عليه أن يتحقق من صحة نسبة الكتاب الى مؤلفه. فلاحظ : أولا ، أن هناك إجماعاً على أن المناظرة قد وقعت . وثانيا ، أن الذين ترجموا لعبد العزيز السابقين منهم على الذهبي والسبكي واللاحقين لم يشككوا بنسبة الكتاب اليه . وثالثا ، أن حجة « الامور المستشنعة » ليست حجة يمكن اعتمادها في التاريخ ، وهي نسبية تختلف من عصر تاريخي الى آخر . ثم لاحظ رابعاً وجود فقرة في آخر كتاب الحيدة هذا نصها : « فسُرَّ المسلمون .. وجعل الناس يجيئون إلي أفواجاً .. فقالوا : لابد أن تملي علينا ماجرى .. فتهيبت ذلك وتخوفت سوء عاقبته ، فلما ألحوا علي قلت لهم : أنا أذكر لكم بعض ما جرى مما لايكون عليَّ حجة في ذكره فرضوا بذلك ، فأمليت عليهم أوراقاً يسيرة مقدار عشر أوراق مختصرة مما جرى لأقطعهم بها عني..ولم يتهيأ لي شرح هذا كله لما تخوفت على نفسي مما قد يلحقني بعضه ، وأنا أذكر ما لحقني بعد هذا المجلس وما جرى بسبب تلك الاوراق .. في كتاب مفرد بعد هذا .. »(٧٧) ــ فقدر أن هذه الفقرة تسمح له أن يفترض : أن أصل كتاب الحيدة هذه الوريقات العشر ، التي لقيت القبول من الناس ، فتداولتها أيدي النساخ والقراء سراً زمن المحنة ؛ ثم لما انكشفت في عهد المتوكل وانعكس الاتجاه اتخذت وسيلة للدعاوة : فالقادر بالله (٣٣٦ ــ ٤٢٢ وخلافته ٣٧١ ــ ٤٢٢) نظم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنة ٤٢٠ ثلاثة مجالس جمع فيها الأشراف والقضاة والشـهود والفقهاء والوعاظ والزهاد ، في كل مجلس منها كان يقرأ كتاب من الخليفة يتضمن الوعظ وتفضيل مذهب أهل السنة والطعـن على المعتزلة ، وفي المجلسين الثاني والثالث حوى كتاب الخليفة الطعن على من يقول بخلق القرآن، وتفسيقه وحكاية ما جرى بين عبد العزيز وبشر المريسي فيه ـ فالمتوقع أن تخضع أوراق الكناني ؛ وهـي تمر خلال العهود المتقلبة وتحـت عيون ذوي الأهواء وبين أيدي النساخ المتفاوتين في الثقافة للكثير من التحريف وأن يدس فيها الكثير من الاضافات بقصد التفصيل أو التوضيح أو التأييد بالشواهد الخ .. فتتضخم حتى تصبح كتاباً .

ولكن هذه الفقرة قد تسمح بافتراض آخر : من الواضح أنها لم تكن مما سطر في الاوراق العشر ، وأنها لم تكتب زمن المحنة ؛ أي ان عبد العزيز رجع ، بعد أن زال ما تخوفه على نفسه ، الى أوراقه ليشرح ما كان أوجز، ويعد بذكر مالحقه بسببها في كتاب مفرد . ذلك إلا اذا كانت الفقرة ذاتها مما أضافه النقلة ، وعندها لابد أن نواجه هذا السؤال : و « الاعتذار »؟ هل هم النقلة أيضـا الذين وضعوه ؟ ان ما يبدو معقولا أن يكون عبـد العزيز قد نام على مجد المناظرة والاوراق العشر طول عهد المحنة ، فلمـا جاء الفرج أعاد النظر في أوراقه ففصل ما كان أجمل وأوضح ماأبهم وأبدى ما كتم ، ثم سجل ما كان جرى في جلسة الاعتذار .. ثم جمع الكل في كتاب فكان «الحيدة والاعتذار» . ويبقى بعد كل حساب : الى أي مدى كانت ذاكرته صادقة وتعبيره مشكوماً ؟

ثم مضى الدكتور صليبا الى مسألة خلق القرآن فقال : لقد سـبق بشراً الى هذه المقالة جهم بن صفوان ومعظم المعتزلة ، وترجع عند هؤلاء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى مسألة نفي الصفات عن الله ، التي ترجع بدورها الى التوحيد الاصل الاول من أصولهم الخمسة[٧٩] . ثم يعرض باختصار لبعض حجج المعتزلة ولموقف أحمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١) وعبد الله المأمون .

وخطورة هذه المسألة لم تأت من مقام القرآن في عقيدة المسلمين وحياتهم فقط ، ولكن من أنها أصبحت أيضا عنوانا لعقيدة جعلها المأمون عقيدة للدولة وأراد أن يفرضها على الرعية مبتدئاً بالقضاة والمحدثين والشهود .

ولم يكن المعتزلة الاوائل الذين قالوا بهذه المقالة « نفي الصفات الإلهية » ، والمقالة الاخرى « خلق العباد أعمالهم » التي ترجع الى الاصل الثاني من أصولهم : العدل ، بل كان لهم أسلاف هم : معبد الجهني (قتل سنة ٨٠) وغيلان الدمشقي (قتل في خلافة هشام ٧١ــ١٢٥ وخلافته ١٠٥ ــ ١٢٥) ، في مسألة القدر ــ والجعد بن درهم (ذبحه أمير العراق خالد القسري سنة ١٢٤) وجهم بن صفوان (قتل ١٢٨) في مسألة الصفات .

بل يمضي المؤرخون المسلمون الى أبعد من الجعد وجهم فيرجعون بمسألة خلق القرآن الى اليهود . فقد نقل ابن كثير (٧٠١ ــ ٧٧٤) عن ابن عساكر (٤٩٩ ــ ٥٧١) وغيره أن[٨٠] « الجعد أخذ بدعته عن بيان بن سمعان وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم .. وأخذها لبيد عن يهودي باليمن . وأخذ عن الجعد الجهم بن صفوان .. » .

والمتكلمون قديماً والمستشرقون حديثا يرجعون بالمسألتين كلتيهما ، قبولا في احداهما ورداً في الاخرى ، الى النصارى ، والى يوحنا الدمشقي على الخصوص . فيوحنا كان معاصراً لأولئك الاربعة ، وجمعته مع ثلاثة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

منهم دمشق ، وهو مؤلف كتاب « الإيمان الصحيح » ، وفيه عالج مسألة القدر وقال بحرية الانسان ، ورسالة « نقاش بين مسيحي ومسلم » • وفي هذه الرسالة نجد[٨١] : « اذا قال لك العربي : ما تقول في المسيح ؟ فقل له انه كلمة الله ، ثم ليسأل النصراني المسلم : بم سمي المسيح في القرآن ؟ وليرفض أن يتكلم بشيء حتى يجيبه المسلم، فإنه سيضطر إلى أن يقول : كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه ، فإن أجاب بذلك فاسأله : هل كلمة الله وروحه مخلوقة ؟ فإن قال مخلوقة فليرد عليه بأن الله اذن كان ولم تكن له كلمة ولا روح ، فإن قلت ذلك فسيفحم العربي لأن من يرى هذا الرأي زنديق في نظر المسلمين » •

مثل هذه المجادلة التي توقعها وحضر لها يوحنا الدمشقي كانت تقع بالتأكيد وتتكرر • ونجد انعكاساتها في أقوال المعتزلة والجاحظ (١٥٠ — ٢٥٥) خاصّة في « رسالة النصارى »[٨٢] حين أشار الى الكائدين للاسلام الذين يرتضون القول بنفي خلق القرآن ويرحبون بمقالة الفقهاء والمحدثين •• والمأمون في كتابه الثاني الى إسحق بن ابراهيم في بغداد من معسكره على حدود الروم حول المحنة بالقرآن يقول : « وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق إذ كان كلمة الله •• »[٨٣]

ولم يكن الصراع مع النصرانية الوحيد الذي كان على المعتزلة أن يخوضوه ، ماداموا قد ندبوا أنفسهم للدفاع عن الاسلام ، بل كان عليهم أن يصارعوا كذلك المجوسية والمنانية وكل العقائد العرفانية والفلسفات اليونانية • ويبدو أن الخليفة المأمون ، وعلاقته بالاعتزال وكبار المعتزلة مثل النظام وثمامة بن أشرس وابن أبي دؤاد كانت علاقة قوية ، اعتقد أنه بعقيدة المعتزلة وبرجالاتهم يستطيع أن يدفع عن الاسلام الغوائل ويحافظ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على حقيقتــه ويوحد الامة بها . فبــدأ بتقديم المعتــزلة ووضع قــوة الدولة تحت تصرفهم ، وأعلن[٨٤] سنة ٢١٢ مقالة « خلق القرآن » عنواناً لعقيدة الدولة ، وبدأ محنة الفقهاء والمحدثين .. وفي أخريات أيامه بلغ اندفاعه حد الطغيان ، وهو المشــهور بحلمه وتسامحه ، ثم وصّى بها إذ حضره الموت أخاه وخليفته المعتصــم ، (١٨٠ ــ ٢٢٧ وخلافته ٢١٨ ــ ٢٢٧) . وقد أخطأ المأمون وأخطأ المعتزلة في فهم حقيقة الاسلام .

إن مشكلة التنزيه والتشبيه من المشكلات الاساسية في الاسلام . ففي القرآن آيات تبلغ في التنزيه الغاية « ليس كمثله شيء »[٨٥] ، وآيات متشابهات تلقي في الروع التشبيه « الرحمن على العرش استوى »[٨٦] ، وبين هذه وتلك أسماء الله وصفاته . وكان لابد من مجموع هذه الآيات لتصح العبادة ان من حيــث الامكان وان من حيث الاكتمال والامتــلاء بالخشية والمحبة . فمنتهى التنزيه يقطع ما بين العبد وربه ، ويرمي به في هوة مظلمة ، إذ تمتنع عليه أية معرفة ، فلا يستطيع أن يسميه بله أن يدعوه ويناجيه . ونهاية التشبيه الحلول والتجسيد ، فيصبح الإله شيئاً من أشياء الطبيعــة ، فلا يستطيع الانسان أن يعبده حق العبادة مهما بلغ من جماله أو جلاله،إذ لاعبادة روحانية إلا حين يتجاوز المعبود العابد تجاوزاً لايتصور معه أن يبلغه مهما اتسعت أوهامه ، وإلا كانت العبادة مادية تحت تصرف منافع الانسان . فالعبادة الحقة انما تقوم على هذا الجــدل المستمر بين التنزيه والتشبيه « هو الاول والآخر والظاهر والباطن »[٨٧] . وهذا معنى عبادة الاحسان « أن تعبد الله كأنك تراه »[٨٨] . ولكــن الانسان كان « أكثر شيء جدلا »[٨٩] ، فهو بعقله لا بحقيقته الكلية يدفع الامور الــى نهاياتها . وهكذا وجد في الاسلام من دفع التنزيه الى نهاياته وهم المعطلة،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن دفع التشبيه الى نهاياته وهم المشبهة والمجسمة • والمعتزلة ممن غالى في التنزيه فنفوا الصفات عن الله أياً ماكان التعبير الذي اتخذوه : عالم لا بعلم وقادر لا بقدرة أو عالم لذاته وقادر لذاته أو عالم بعلم وعلمه هو هو وقادر بقدرة وقدرته هي هو الخ •• فعطلوا صفاته وبالتالي عطلوه ، ولم يخطىء أهل السنة حين دعوهم المعطلة • وكانوا منطقيين مع أنفسهم حين نفوا عنه خلق أكساب العباد،وقالوا ان الانسان خالق أعماله ، فنفوا القدر• ولكنهم أخطؤوا حقيقة الاسلام الجدلية ، فكان لابد أن ينتهوا الى المصير التاريخي الذي انتهوا اليه •

وانتهى الدكتور صليبا الى تلخيص كتاب الحيدة • « والحيدة » كما هو مفترض تسجيل للمناظرة بين الكناني والمريسي • وقد جرى التعريف بالاول فلا بد من التعريف بالثاني :

هو[٩٠] بشر بن غياث المريسي (ــ ١١٨) ، فارسي بغدادي ، أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف (١١٣ ــ ١٨٢) صاحب أبي حنيفة (٨٠ــ ١٥٠) ، ثم مال الى الكلام • واتصل بالشافعي حين قدم الى بغداد ، ونصحه الشافعي بترك علم الكلام ، فكان جوابه : لنا نهمة فيه • وهو من المرجئة[٩١] بل رأس فرقة من المرجئة • والمرجئة فرق : فمنهم من قالوا بقول المعتزلة بالصفات وبالتالي بالقرآن ومنهم الفرقة المريسية ، ومنهم من قالوا بمقالة المجبرة الذين يرون أن الله يخلق أكساب العباد والمريسية منهم ؛ حتى أصبح بشر رأس الفرقة مهجور الصفاتية والمعتزلة ، كما يقول صاحب « الفرق بين الفرق »[٩٢] •

وكتاب الحيدة ، اذا اطرحت منه المقدمات والتعليقات والمشاغبات والتكرار والشواهد الكثيرة بدون ضرورة والاسراف في مدح الخليفة وما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يظن أنه أقحم عليه ، قد تزيد عليه ورقات عبد العزيز العشر الاولى .
فالمناظرة تنقسم الى قسمين : الاول حين اتفق على أن يكون القرآن والسنة الاصل الذي يرجع اليه في حال الاختلاف في الفروع ، وهو أكثر من تسعة أعشار المناظرة ، والثاني حين أصبح هذا الاصل النظر والقياس .

والقسم الاول يرجع الى حجتين على خلق القرآن ونقضهما : « شيئية القرآن » و « جعل القرآن » .

الحجة الاولى : القرآن بنص التنزيل شيء ، وبنصه أيضا « الله خالق كل شيء »(٩٣) ، فالقرآن مخلوق من مخلوقات الله .

الرد : القرآن شيء ، هذا صحيح ، ولكن شيء هنا لاتدل على أكثر من اثبات الوجود ونفي العدم لاعلى أنه اسم له وأنه كالاشياء . وقد أجرى الله على كلامه ما أجراه على نفسه اذ دل على نفسه أنه أكبر الاشياء بالمعنى الاول ، قال : « قل أي شيء أكبر شهادة ، قل الله شهيد بيني وبينكم »(٩٤)، ولكنه نفى عن نفسه المعنى الثاني « ليس كمثله شيء » . وكذلك بالنسبة الى كلامه قال : « وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء،قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟»(٩٥) . فالتوراة كلام الله شيء ولكن بالمعنى الاول ، والدليل الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون »(٩٦) ، فقول الله هنا ليس كالاشياء وغير الاشياء وخارج الاشياء وتكون الاشياء به . أما بالنسبة للآية « خالق كل شيء » ، فالله يقول : « ويحذركم الله نفسه »(٩٧) ، ولكنه يقول أيضا: « كل نفس ذائقة الموت »(٩٨) ، فهل ينطبق هذا الحكم على نفس رب العالمين ؟ بالطبع لا ، وكذلك الخلق بالنسبة لكلام الله فإنه لا يشمله . فالخبر في القرآن قد يكون مخرج لفظه عاماً ومعناه خاص ، ويتبين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخصوص فيه إما بالاستثناء المباشر ، أو الاستثناء غير المباشر بخبر خاص يتقدمه . فالآية «كل نفس ذائقة الموت» قد خصصتها الآية «وتوكلت على الحي الذي لايموت »[٩٩] ومثلها الآية « خالق كل شيء » خصصتها الآية « إنما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقـول له كن فيكون » التي أخرجت قول الله من الاشيـاء .

الحجة الثانية: القرآن مخلوق بنص الآية «إناجعلناه قرآناً عربياً»[١٠٠]. ومعنى جعلناه خلقناه .

الرد : جعل تأتي في القرآن بمعنيين : خلق ، كما هو معناها في الآية «الحمد لله الذي خلق السموات والارض، وجعل الظلمات والنور»[١٠١]؛ وصيَّر ، كما في الآية « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك »[١٠٢] . وجعل بمعنى خلق تكون في القول المفصل ، وهو مايستغنى به دون حاجة الى توصيل الكلمة بغيرها من الكلام . فالآية « وجعل لكم السمع والابصار والافئدة »[١٠٣] من القول المفصل لأنها مستغنية بذاتها . أما جعل بمعنى صيَّر فتكون في القول الموصّل ، والقول الموصل هو ما لايفهم المقصود منه اذا لم توصل الكلمة بغيرها من الكلام. فإبراهيم وإسماعيل حين سألا ربهما « ربنا واجعلنا[١٠٤] .. » لو سكتا عند اجعلنا لم يكـن لدعائهما معنى ، فالله قد خلقهما وانتهى الامر ، ولكن حين أضافا « مسلمين لك » اتضح المعنى وكان « صيرنا مسلمين لك » . والآية « إنا جعلناه قـرآنا عربيا » من القول الموصل ، ومعناها « صيرناه قرآناً عربياً » .

والقسم الثاني من المناظرة القائم على أصل النظر والقياس يحتوي على ثلاث حجج متهافتة كلها ، وترجع اثنتان منها الى القرآن . ولكن عبد العزيز يجب أن يفوز فعلى بشر أن يعجز عن تفنيدها !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حجة : اذا كان القرآن مخلوقاً ، فالله خلقه إما في نفسه أو في غيره أو قائماً بذاته • ويمتنع القول الاول لان الله لايكـون مكانا للحوادث ولا يكون ناقصا فيزيد فيه شيء • ويمتنع الثاني لما يترتب عليه من تساوي كلام الله مع كل كلام آخر خلقه الله في غيره من الشعر وقول الزور والكفر والفحش • والثالث يستنع عقلا لان الكلام لا يقوم بنفسه ولا يكون إلا من متكلم •

حجة : كان الله ولا شيء معه ، ثم أحدث الاشياء بقدرته ، فإذا لم تكن قدرته متميزة من فعله ، والله ما زال قادراً ، فالله ما زال فاعلا ومحدثاً للاشياء ، فالاشياء اذن ما زالت مع الله ، وفي هذا نقض للقول الاول • أما اذا كانت القدرة غير الفعل ، فان القادر ما زال سيفعل ، وفعله بقوله كن • فأول خلق خلقه الله كان بقول قاله وارادة أرادها وقدرة قدرها ، وذلك كله متقدم قبل الخلق ، فليس هو من الخلق في شيء •

حجة : ان الله في القرآن أخبر عن خلق الانسان في ثمانية عشر موضعاً ، وذكر القرآن في أربعة وخمسين موضعاً ، فلم يخبر عن خلقه في موضع منها ، ثم جمع بين الانسان والقرآن في موضع واحد ، فأثبت الخلق على الانسان ولم يثبتـه على القرآن ، قال : « الرحمـن علم القرآن خلـق الانسان »[١٠٥] ، فهل فرط الله في الكتاب حين لم يخبرنا عن خلق القرآن ، وهو القائل : « ما فرطنا في الكتاب من شيء »[١٠٦] ؟

وأخيرا قد يكون هناك ما يسوّغ ذكر بعض الملاحظات حول كتاب الحيـدة :

(١) ان المؤرخين يحددون فيما يتصل بمسألة خلق القرآن سنتين : سنة ٢١٢ وفيها أعلن المأمون المقالة ، وسنة ٢١٨ وفيها بلغت المحنة درجة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التنكيل ، وتسكت عما جرى في الفاصلة الزمنية بين التاريخين • ويأتي كتاب الحيدة فيملأ بعض الثغرة ويكشف بعض الكشف • فقد قدم بعض الصور عن الارهاب الفكري والمادي المخيم على بغداد • قال عبد العزيز : « وكان الناس في ذلك الزمان في أمر عظيم ، قد منع الفقهاء والمحدّثون والمذكرون والدعاؤون من القعود في الجامعين ببغداد وفي غيرهما ••• وكل من أظهر مخالفتهم (جماعة القائلين بخلق القرآن) وذم مذهبهم أو اتهم بذلك أحضِر ، فإن وافقهم ودخل في كفرهم •• تُرك ، وإلا قتلوه سراً وحملوه من بلد الى بلد ، فكم من قتيل لم يُعلَم به وكم من مضروب قد ظهر أمره ••• »[١٠٧] • هذا النص وأمثاله كثير قد يسمح بالقول : ان ممارسة فرض العقيدة بدأ منذ سنة ٢١٢ ، وأخذ شكلين : شكلا رسميا باستبعاد المخالفين من القضاة والشهود •• عن أعمال الدولة ، ومنع المدرسين والوعاظ من التدريس والوعظ في المساجد ؛ وشكلا آخر يبلغ فيه الارهاب درجة التنكيل والاغتيال يتولاه أمثال بشر المريسي ومحمد بن الجهم والطبقة الدنيا من المعتزلة •

(٢) ان المأمون ، على ما يظهر ، لم يأخذ الكناني مأخذ الجد بل عدّه انساناً مهووساً لا أكثر ، ولكنه أراد أن يكفه عن العامة ، فهو من جهة يعبث به عبثاً واضحاً ويغري به المريسي وابن الجهم وغيرهما ــ وتكفي للبيان الصورة التالية : « •• فوثب بشر إلي •• كالاسد الى فريسته ، فجاء فانحطّ عليّ فوضع فخذه اليسرى على فخذي اليمناء فكاد أن يحطمها ، واعتمد عليّ بقوته كلها ، فقلت له : مهلا ، فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاه لم يأمرك بقتلي وظلمي وانما أمرك بمناظرتي وانصافي • فصاح به المأمون : تنحّ عنه وكرر ذلك عليه مراراً ••»[١٠٨] ــ ومن جهة أخرى يربت على نفسه كي يتطامن ويستكين •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٣) بل لم يأخذ المناظرة والمتناظرين مأخذ الجد ، بل كانت بالنسبة اليه والى حاشيته ، نوعاً من لهو الخلفاء والكبراء المترفّع وعبثهم • وكثير من حركاته الصغيرة التي كان الكناني يلتقطها بدقة وان لم يفهم معانيها ، وما سمح به من شغب بحضرته وصياح وضجيج •• تكشف عن الدور الذي أراده لهذه المناظرة • وإلا فكيف يفهم تسليمه بتفنيد الكناني لحجتي « شيئية القرآن » و «جعل القرآن» ، وقد أعادهما برسائله المشهورة[١٠٩] في محنة العلماء الأثريين ، بل لقد أصبحتا من الحجج التقليدية عند المعتزلة، وبهما واجه ابن أبي دؤاد أحمد بن حنبل بحضرة المعتصم[١١٠] •

(٤) يبدو المريسي في المناظرة قاصر الحجة قليل المهارة في الجدل قد ترك المبادرة لخصمه حتى في ميدان النظر والقياس المفترض أنه ميدانه ، وما هكذا تصوره كتب التاريخ والتراجم ، بل تعطيه دوراً كبيراً في التلبيس على المأمون وتضليله[١١١] ؛ وبرأيي أنها أعطته أكبر من حجمه ، كما أعطاه عبد العزيز أصغر من حجمه • وقد سجل المريسي أيضا المناظرة أو شيئاً عنها في آخر كتاب له دعاه « كتاب الكمال في الشرح والبيان بخلق القرآن رداً على أهل الكفر والضلال »[١١٢] • ولو أنه بقي لرأينا المناظرة من زاوية أخرى وصورة الكناني بعيني المريسي •

(٥) يتهيأ للانسان في مواضع كثيرة من كتاب الحيدة ، على الرغم من وحدة الاسلوب ، أن هناك فقرات وجملاً وشواهد قد أدخلت على النص الاصلي ، وأحياناً يكون موضوع بتمامه قد أقحم اقحاما • وفي مثال واحد كفاية : بينا عبد العزيز يبلغ في تفنيد حجة « شيئية القرآن » النهاية أو يكاد،اذا به يطرح مسألة جديدة عن علم الله[١١٣] فيفصل القول تفصيلا، ثم يعود مرة أخرى الى موضوعه الاول ، فيتحدث حديثا مطولا عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الخصوص والعمـوم(١١٤) • ذلك دون مناسبة واضحة بين طرفي الكلام ووسطه • هناك بالتأكيد صلة قوية بين علم الله وكلام الله وخلق القرآن لأنها جميعا ترجع الى المسألة الكبرى « صفات الله » ، ولكن الكناني لم يشعر أي اشعار بهذه الصلة ، والمريسي بدوره لم يعترض على طرح المسألة، وكان قبلها قد رفض رفضاً باتاً أن يخرج عن « خلق القرآن » الى « كلام الله » • فلن يُطرح اذن في غير مطرح الظن بأن عبد العزيز حين أعاد النظر في نصه الاول ،وكان قد اطلع على معلومات وتذكر معلومات وفطن الى أدلّة ، رأى أنه يمكن أن يفيد منها اذا هو أضافها الى النص • وهكذا زج بمسألة العلم وربما بموضوع الخصوص والعموم الذي كان قد سمعه من الشافعي ••

(٦) وفي النهاية ، إن كتاب الحيدة ، برأيي ، ذو قيمة محدودة من حيث هو نص كلامي ، ولكنه قيم من حيث هو نص أدبي • ان التجهيزات المسرحية والاخراج وربما التمثيل كانت جميعاً جيدة ، ولكن الحوار كان ضعيفاً • فالمقدمات والحواشي والتفصيلات واللقطات الجزئية والخواتيم ••تكشف كشفاً حسناً منظراً من مناظر عبث الخلفاء الذين هم من نمط المأمون في سعة التفكير وقوة الخلق • كما تكشف عن بعض من أساليب الارهاب في صورته الملطفة • ثم انها تقدم لنا ملامح لبعض الشخصيات التي اشتركت في هذه المناظر ، كالخليفة المأمون وعمرو بن مسعدة وحاجب المأمون ومحمد بن الجهم ، وتكاد تحـدد ، اذا جمعناها الـى روايات الإخباريين ، السمات الاساسية لشخصيتي الكناني والمريسي •

والغريب أن هذين الشخصين يتشابهان في ملامح كثيرة في الخلق والخلق : فكلاهما كان على قسط من الدمامة : الكناني غول ، والمريسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

«شيخ قصير دميم المنظر وسخ الثياب وافر الشعر أشبه شيء باليهود»[١١٥]. وكلاهما أوتي حظاً من روح الاستفزاز والعدوان ومن التحرق للظهور ولو بأساليب خارجة عن المألوف . وكلاهما من النموذج الذي يمكن أن تستلكه امتلاكاً تاماً فكرة أو اتجاه حتى تصبح هاجسه الوحيد وتقود كل تفكيره وسلوكه : فالكناني تملكه هاجس « مخالفة أهل الكفر والضلال والرد عليهم وذكر كفرهم وتبيين ضلالتهم .. »[١١٦] فقاده من مكة الى بغداد وزج به في مواجهة قوى الطغيان متعرضاً للاذى والسخرية ... والمريسي دفعته نهمته الى علم الكلام الى المخاطر . وقد تنبأ له أستاذه أبو يوسف « كأني بك قد شغلت على الناس خشبة الجسر »[١١٧] . والغريب أنهما كليهما كانت تربطهما بمحمد بن ادريس الشافعي رابطة وثيقة . ولكن أحدهما يبدو طيب السريرة طاهر النية،والآخر خبيث الطوية كثير الأذى . ولكن ، من يدري ربما كان يختلف السلوك لو اختلفت الادوار وتبادلا المكان من السلطان !

المعجم الفلسفي :

وأخيراً ، نصل الى المجال الثالث من مجالات نشاط الدكتور جميل صليبا المجمعي ، والى قمة عمله ، وقد توج به حياته الفكرية ، وهو المعجم الفلسفي ، الذي أصدر مجلده الاول سنة ١٩٧١ والثاني سنة ١٩٧٣ . ويقع فيما يقرب من ١٥٠٠ صفحة ، ويحتوي على ١١٦٠ مصطلحاً فلسفياً عربياً بحذاء كل مصطلح منها مقابله باللغات الفرنسية والانجليزية واللاتينية. وقد شرح كل مصطلح مبيّناً أصله اللغوي ومعانيه في المنطق والاخلاق وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الجمال وماوراء الطبيعة والدين وعلم الكلام واللاهوت .. حين توجد مثل هذه المعاني . وكان حريصا على ايراد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

النصوص الفلسفية التي تبين وجوه استعمال المصطلح • كل ذلك بأوجز الكلام وأوضحه •

وهذا المعجم هو محصول حياة جادة في دراسة الفلسفة وتدريسها وتحقيق نصوصها وترجمتها والتأليف فيها مع عناية خاصة بالمصطلح • وقد بدأ بمعاناة الفلسفة العربية والتعبير عنها باللغة الفرنسية وترجمة نصوص منها اليها منذ كان يحضر رسالة الدكتوراه • ويبقى العثور على المصطلح الفرنسي المقابل للمصطلح العربي في فلسفة ابن سينا على مشقته سهلاً ، لأن فلسفة الشيخ الرئيس ترجع بصورة عامة الى الفلسفة اليونانية ، وهذه قد أشبعت درساً وثبت مصطلحها في اللغات الاوربية • ولم يكن كذلك تدريس العلوم الفلسفية الحديثة في الربع الثاني من هذا القرن ، مع الحرص الشديد ــ المعروف عن الدكتور صليبا ــ على سلامة اللغة ووضوح التعبير والبعد جهد الامكان عن تهجين الكلام ، ومع افتقاد الاسلاف المحدثين الذين روّضوا اللغة العربية وحضروها لتلقي مثل هذه العلوم • وحين ألّف كتابه في علم النفس ألحق به فهرساً احتوى على ما يقرب من ٤٠٠ مصطلح عربي مع مقابله الفرنسي • وما زال تقلبه في الاعمال يغذي فيه هذا الميل الى وضع المصطلح وتثبيته : انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي (مجمع اللغة العربية) ، والمصطلح شغل المجمع الشاغل ، وأصبح عميداً لكلية التربية ، فعاد لتدريس علم النفس والتربية ، وألقى محاضراتٍ باللغة العربية عن فلاسفة غربيين ، ومحاضرات باللغة الفرنسية عن الفلسفة العربية ، وانتخب ممثلاً لليونيسكو في اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ، وترجم « مقالة الطريقة » لديكارت ، وشارك في ترجمة كتاب « إعداد المربي » ، وسمي عضواً في لجنة المديرين للموسوعة الميسرة الخ •• وفي مجلة المجمع كانت تظهر ، على مدى تلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السنين ، تتائج اهتمامه وعمله في هذا الميدان : ففي الجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين سنة ١٩٥٣ ظهر مقال له حول « تعريب الاصطلاحات العلمية » ، ثم أخذت سلسلة « الاصطلاحات الفلسفية » تتتابعُ على امتداد ستة وثلاثين جزءاً ، ابتداء من الجزء الاول من المجلد الواحد والثلاثين سنة ١٩٥٦ حتى الجزء الثاني من المجلد السادس والاربعين سنة ١٩٧١ .

وقد قدم لمعجمه بمقدمة بسط فيها رأيه في وضع المصطلح وتثبيته ، وخلاصتها :

ان اللغة العربية لغة واسعة في اشتقاقاتها كثيرة المرونة غنية بألفاظها المتباينة والمتفقة والمترادفة . ومن هنا أُتيَ الكتّاب وبخاصة أرباب السَّجع والبديع ، فكثيراً ما يستعملون الالفاظَ المترادفةَ والمتواطئة بعضها في مواضع بعض ، مع أن الواجب على الكاتب اذا وقع على ألفاظ مختلفة متقاربة المعاني أن يبحث عن أسباب اختلافها ، ثم يستعملها كلاً في موضعه ، مادام من حق المعنى ، كما يقول الجاحظ «أن يكون الاسم له طبقاً ، وأن لا يكون له فاضلا ولا مفضولا ولا مقصراً ولا مشتركاً ولا مضمناً »(١١٨) .

والامر أصبح مشكلة جدية في زمننا هذا . فالنقلة الذين ينقلون العلوم وغيرها من اللغات الغربية الى اللغة العربية كثيرا ما يستعملون الالفاظ المترادفة للدلالة على المعنى الواحد ، واللفظ الواحد للدلالة على المعاني المختلفة ، بل ان الكاتب الواحد لا يتقيد هو نفسه بالمصطلحات التي ارتآها فيخالف نفسه ، ذلك الى مخالفته سواه . فإلامَ تنتهي هذه الفوضى في المصطلح ؟ لاشك الى خفاء المعاني واهتزاز حدودها واختلاطها بعضها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ببعض ، وما يتلو ذلك من ضلال القارىء ويأسه مما يقرأ أو تزينه بالكلمات الكبيرة الفارغة وترادها دون تثبت من مدلولاتها .

« فلا بد للعلماء اذن من الاتفاق على معاني الالفاظ ، ولا بدّ لهم أيضاً من تثبيت الاصطلاحات العلمية ، حتى لاتتبدل الحقائق بتبدل الالفاظ التي أفرغت بها » . وهذا العمل انما يقوم به المختصون كل في علمه ومجال اختصاصه ، « لأنه ليس من شأن المجامع العلمية أن تضع الاصطلاحات ، وانما هي بشابة عضو رئيس في جسم العلم ، ينقـح ما يكشفه العلماء ويمحصه وينظمه ويثبته » . « والوسيلة الوحيدة للتوجيه الصحيح تقتضي انشاء مجمع علمي واحد » . لقد طلب الدكتور صليبا كثيراً ، نحن أقل طموحاً منه ، نحن نكتفي بتوثيق العلاقة بين مجامع اللغة العربية ، وتشكيل ما يشبه الهيئة المركزية : تجتمع بانتظام ، وتضع خطة مشتركة ، وتوزع على المجامع الاعمال ، ثم تنظر في النتائج فتقر ما تقره وتعممه . وبذلك توفر الجهود وتوجه التوجيه الصحيح وتتوحد لا المصطلحات وحدها بل اللغة أيضا ، وعندها تتكلم جميعاً لغة عربية واحدة في هذا الوطن العربي .

ويقترح الدكتور صليبا على سبيل الاشارة لا الاحاطة ، أربع قواعد يجب اتباعها في وضع المصطلح العلمي :

الاولى : « البحث في الكتب العربية القديمة عن اصطلاح مستعمل للدلالة على المعنى المراد ترجمته ، ويشترط في هذه القاعدة أن يكون اللفظ الذي استعمله القدماء مطابقاً للمعنى الجديد » .

الثانية : « البحث عن لفظ قديم يقرب معناه من المعنى الحديث ، فيبدل معناه قليلا ويطلق على المعنى الجديد » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الثالثة : « البحث عن لفظ جديد لمعنى جديد مع مراعاة قواعد الاشتقاق العربي » .

الرابعة : « اقتباس اللفظ الاجنبي بحروفه على أن يصاغ صياغة عربية » .

ولم يدخر الدكتور صليبا جهدا في عمله . فقد رجع في اللغة العربية الى معاجم اللغة وبخاصة قاموس الفيروزابادي ، والى معاجم الاصطلاح وبخاصة تعريفات الجرجاني وكليات أبي البقاء وكشاف التهانوي ، والى كتب الفلسفة وبخاصة مؤلفات ابن سينا والنجاة والإشارات منها خاصة. ورجع الى معاجم الاصطلاح في اللغتين الفرنسية والانجليزية وبخاصة معجم لالاند الذي يقول انه اقتبس منه معظم تعريفاته ، فإذا كان أي عمل مهما يبلغ من الإتقان لايمكن أن يكون نهاية المطاف ، لكنه يمكن أن يكون محطة رئيسة في طريق التطور الذي لاينتهي ؛ فمعجم الدكتور صليبا بالتأكيد أول محطة كبرى في عصرنا على طريق تثبيت المصطلح الفلسفي.

ولبيان طريقته في العمل لنأخذ مثالا مصطلح « إبداع » . واخترت هذه اللفظة لأنها مشتركة بين علوم وميادين فكرية كثيرة ، مثل : علم النفس وعلم الجمال وفلسفة الفن وما وراء الطبيعة والدين واللاهوت والنقد الفني والادبي والصناعة الخ .. ولأن لها قرابة بألفاظ كثيرة مثل : خلق اختراع ، فيض الخ ..

جاء في المعجم الفلسفي[١١٩] :

(ا) الابداع في اللغة إحداث شيء على غير مثال سابق .

والابداع في الفلسفة له معان :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(ب) أولا ــ تأليف شيء جديد من عناصر موجودة سابقا ، كالإبداع الفني والإبداع العلمي ، ومنه التخيل المبدع في علم النفس .

(ج) ثانياً ــ إيجاد الشيء من لاشيء ، كإبداع الباري فهو ليس تركيباً ولا تأليفاً وانما هو اخراج من العدم الى الوجود . وميزوا بينه وبين الخلق، بأن الخلق هو إيجاد شيء من شيء .

(د) ثالثا ــ ايجاد شيء غير مسبوق بالعدم، ويقابل الصنع وهو إيجاد شيء مسبوق بالعدم . قال ابن سينا في الإشارات : « الابداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلق به فقط ، دون متوسط من مادة أو آلة أو زمان . وما يتقدمه عدم زماني لم يستغن عن متوسط » . والغرض ، كما يشرح الطوسي ، أن كل ما لم يكن مسبوقاً بمادة وزمان لم يكن مسبوقاً بعدم . فالإبداع هو اذن أن يكون من الشيء وجود لغيره من دون أن يكون مسبوقاً بمادة ولا زمان ، كالعقل الاول في فلسفة ابن سينا فهو يصدر عن واجب الوجود من دون أن يكون صدوره عنه متعلقاً بمادة وزمان . والإبداع بهذا المعنى يقابل التكوين والإحداث ، لأن التكوين مسبوق بالمادة والإحداث مسبوق بالزمان ، وهما مترتبان على الإبداع ، لأن المادة لا يمكن أن تحصل بالتكوين ، والزمان لا يمكن أن يحصل بالإحداث .

(هـ) رابعا ــ الإبداع الدائم وهو، عند الفلاسفة الأصوليين (السكولائيين) والديكارتيين ، الذي يبقي به الله العالم ، وهو عين الفعل الذي يخرجه به من العدم الى الوجود . فالله اذن مبدع ومبق ، لأنه اذا قبض جوده بطلت الموجودات كلها دفعة واحدة. وهذا أيضاً يقابل التأليف، لأن التأليف يبقى وإن أمسك المؤلف عن تأليفه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(و) والفلاسفة الذين يقولون بوحدة الوجود لايحتاجون الى القول بالابداع .

والملاحظ أن لفظة واحدة في اللغات الغربية هي Création تقابل اللفظتين العربيتين الإبداع والخلق . وبالرجوع الى المعجم الفلسفي نجد أن لفظة خلق(١٢٠) لاتخرج عن معاني الإبداع المذكورة في الفقرات (ب ، ج ، هـ) ، ولكن هناك لفظة أخرى هي الاختراع وتقابل Invention

وفي المعجم الفلسفي(١٢١) :

(ز) الاختراع هو الانشاء والابتداع ، كإنشاء الافكار انشاءً جديداً أو تنظيم وسائل العمل تنظيماً جديداً يؤدي الى تحقيق غاية معينة. فالاختراع بهذا المعنى مقابل الاكتشاف ، لأن الاكتشاف هو الاطلاع على الاشياء الموجودة سابقا ، على حين أن الاختراع هو إيجاد أشياء جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كاختراع القصة أو الآلة أو المركبات الكيماوية الجديدة الخ ..

بعد هذا العرض يمكن التعليق بما يأتي :

(١) بالنسبة للمعنى اللغوي (الفقرة ا) ، اذا رجعنا الى القاموس واللسان والتاج نجد هذا المعنى للفظة إبداع هو المعنى المركزي لها . ففي اللسان مثلا(١٢٢) : بدع الشيء وابتدعه : أنشأه وبدأه ، والبديع والبدع : الشيء الذي يكون أولا ، والبديع : المحدث العجيب ، والبديع : المبدِع، وأبدعت الشيء : اخترعته لاعلى مثال الخ..

(٢) بالنسبة لهذه اللفظة في علم النفس وعلم الجمال والنقد الفني والادبي .. (فقرة ب) ، نجد ، بالرجوع الى معجم علم النفس(١٢٣) وموسوعة علم النفس(١٢٤) وموسوعة علم النفس والتحليل النفسي(١٢٥)،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تحت مادة : تخيل ، تفكير ابداعي ، خيال ابداعي ، شرحاً لايخرج عما جاء في المعجم الفلسفي لولا أنه أقل دقة وأكثر ألفاظاً .

(٣) واذا بحثنا تحت مادة ابداع في التعريفات[١٢٦] نجد المعاني الموجودة في (الفقرتين ج ، د) بالتمام ، وفي الكليات[١٢٧] نجد المعاني نفسها ومحاولة حسنة للتمييز بين الإبداع والاختراع والخلق والصنع والفطر والبرء والانشاء والإحداث والتكوين والجعل الخ .. وفي الكشاف[١٢٨] نجد المعنى الذي في (الفقرة د) .

(٤) وفي معجم لالاند نجد تحت مادة[١٢٩] Création المعاني الموجودة في (الفقرات ب ، ج ، هـ) ، وتحت مادة[١٣٠] Invention المعنى الموجود في (الفقرة ز) .

(٥) قال فلاسفة الاسماعيلية[١٣١] بالإبداع بمعنى يتفق مع المعنى السينوي من جهة أنه وجود عن شيء غير مسبوق بالعدم ، ويختلف عنه من جهة أنه لايتم بالفيض . فقد قالوا بالتنزيه المطلق لله ، فلم ينفوا عنه الشبيه فقط بل نفوا عنه أيضا التسمية والحد والصفات والزمان والمكان، حتى الوجود الذي يدعونه أيضاً . وقالوا بالعقل ووجوده عن الله بالإبداع . وهو المبدع الاول والإبداع وهو السابق وهو القلم . ووصفوه بكل صفات الإله عند أرسطو وابن سينا ؛ أي أنهم وضعوا فوقه إلهاً لا يوصف بوصف وليس هو علة الوجود ، انه هوية غامضة . والإبداع ، الذي به وجد العقل وهو هو ، ليس الفيض : « .. وذلك أن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا .. فيصير الذي منه يفيض الفيض متكثراً بما يشاركه فيه الفيض وما يختص به هو مما لا يشاركه فيه فتكون ذاته من شيئين .. » « فلما بطل أن يكون ما وجد عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المتعالي فيضاً لم يبق إلا أن يكون ابداعاً • فهو الإبداع الذي وجوده لا من شيء والموجود الاول الذي وجوده لا من مادة ، والشيء الاول الذي إن طلبت احاطة بكيفية وجوده لن تنال بكونها محجوبة عن العقول بوقوعها تحتها ، وتعاليها ، أي الكيفية ، في وجودها عليها ..» •

(٦) وابن عربي[١٣٢] يقول بما يتفق مع مقالة الاسماعيلية من جهة ويختلف عنها من جهة أخرى • فهو يبلغ في التنزيه درجة ليس عليها من مزيد • فالمتعال في مرتبة الأحدية فوق الصفات وفوق المعرفة ، أما في مرتبة الواحدية فهناك تعينات أساسية أو صفات • والخلق يتمثل لابن عربي فيضاً للوجود على الاسماء والصفات ، واخراجها من حالة العدم أو حالة « الكنز المخفي » الى حالة الوجود العيني • وعلى ذلك لا يصح على وحدة الوجود المتعالية عند ابن عربي ما يمكن أن يصح على وحدة الوجود الفلسفية كما هي عند اسبينوزا من عدم الحاجة الى القول بالخلق أو الإبداع (الفقرة و) •

ويشبّه ابن عربي الخلق بصدور الاصوات عن فم الانسان ، فكما تكون الكلمات قبل النطق مختلطة ثم تصبح بنفَس الانسان متميزة ملفوظة ؛ كذلك يخرج « نفس الرحمن » بكرمه ورحمته الامكانيات الاصلية للوجود الى حيز الوجود • وكما يمر نفَس الانسان بدوري التقلص والتمدد يمر الكون بهاتين الحالتين • انه يفنى في كل لحظة ليخلق من جديد في اللحظة التالية دون انفصال زمني • فهو يعود الى الذات الإلهية في لحظة التقلص ويعود الى الظهور في لحظة التمدد • فالكون اذن تجلٍّ للذات الإلهية في كل لحظة دون أن تتكرر ، أو كما يقول المتصوفة « لا تكرار في التجلي » • فالقول اذن بالإبداع المستمر ليس مقصوراً على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصوليين والديكارتيين (الفقرة هـ) ، ولكنه بمعنى آخر وخاص قول ابن عربي ، وكذلك نجده بمعنى خاص آخر عند الأشاعرة .

وبعد ، أيها السادة ، لقد كنت دائماً أقول لنفسي ولبعض أصدقائي، ومنهم من هو الآن في هذه القاعة : ان لحسن الادارة شأنا كبيراً في الانتاج حتى .. في ميدان الفكر . فمن الناس من هو جعبة علم ، ولكنه أخرق لا يعرف كيف يتحرك بين متراكم معلوماته فلا يعرف كيف يفيد من علمه، فيبقى علمه دفين صدره إلا على قليل ممن له اتصال به وعنده الصبر والخبرة في استخراج الكنوز ؛ ثم يموت ويدفن علمه معه . ومن الناس من لايفرط بشيء من علمه ، يعرف كيف ينظم معلوماته ويصنفها ويدخرها ليفيد منها في الوقت المناسب في بحوثه ودراساته ، لا يهدر شيئاً ممّا حصّل بل يضعه في موضعه ويخرجه للناس ؛ حتى اذا غادر هذه الحياة ، كان لكل من يريد نصيب من ميراثه ، يمد يده حين يشاء فيأخذ فيغتني ، ويظل التراث سليماً لاينضب ولا ينقص . وكنت أضرب الامثال على هذين النوعين من الناس ممن أعرف من رجال البحث العلمي والفكر ، وكان جميل صليبا واحداً من الامثال على النوع الثاني .

وقد انتبه الدكتور قسطنطين زريق الى هذه الصفة في الدكتور جميل صليبا ، ونوه بها في تأبينه له . قال : « ظل جميل صليبا طالباً للعلم ليل نهار .. ظل منكباً على التحصيل ، وعلى التزود بنتاج الفكر .. ظل يجمع وزنات المعرفة ، مضيفا الجديد منها الى القديم .. على أنه لم يدفن هذه الوزنات في الارض ولم يقفل عليها في زوايا عقله ونفسه ، بل أخرجها للملأ ووظّفها واستثمرها ، فازدادت بالعطاء وغزرت بالانفاق »(١٣٣) .

وفي الختام ، أشكر السادة الذين تكرموا بالحضور ، ومعذرة ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كنت أطلت وما وفّيت • وأشكر الاساتذة الزملاء الذين أفاضوا علي من حسن ظنهم كرما منهم وفضلا ، حتى أولئك الذين حملوني العبء وما (أنا بالعبء •• مستقل)[١٣٤] • وأخص بالشكر السيد الرئيس الدكتور حسني سبح ، فلولا عطفه وتشجيعه ما تثبت قلبي وأقدمت • أما الدكتور شاكر الفحام ، فلا تستغربوا ، أيها السادة ، ما خلعه علي من حلة موشاة لا أعرف كيف أضعها على كتفي ، انها الصداقة التي ترجع الى مايزيد على ثلاثة عقود ونصف العقد ، انها الصداقة المعتقة ، وللمعتقات كما قد تعلمون على النفوس سلطان أي سلطان •

والسلام عليكم ورحمة الله •

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجـع :

(١) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، بيروت ، ص ٣١٣ ٠

(٢) الطبري ، دار المعارف بمصر ، ج ٩ ، ص ١٦٨ ٠

(٣) المسعودي ، التنبيه والإشراف ، ص ٣١٣ ٠

(٤) الطبري ، ج ٩ ، صص ٢٠٩ ـ ٢١٠ ٠

(٥) المسعودي ، مروج الذهب ، بيروت ، ج٤ ، ص ٣٢ ٠

(٦) جـاء في الطبـري « ثم استوبأ البلد ، وذلك أن الهواء بها بارد ندي ، والماء ثقيل ، والريح يهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضي عامة الليل ، وهي كثيرة البراغيث ، وغلت فيها الاسعار ، وحال الثلج بين السابلة والميرة ٠٠ » ، ج ٩ ، ص ٢١٠ ٠

(٧) «فكان بين خروجه من العراق ورجوعه اليه ثلاثة أشهر وسبعة أيام»، المسعودي ، مروج الذهب ، ج ٤ ، ص ٣٢ ٠

(٨) نظم البحتري ثلاث قصائد ذكر فيها هـذه الحادثة التاريخيـة ، الاولى مطلعها :

أبـرّ على الانـواء نائلـك الغمـر وبنت بفخـر ما يشاكله فخـر

ومنهـا :

هنيئا لأهل الشـام أنـك سـائر إليهم مسير القطر يتبعه القطـر

ديوان البحتري ، دار المعارف بمصر ، صص ٩٩١ـ٩٩٤ ٠

والثـانية مطلعها :

مخلـف في الـذي وعـد سـيلَ وصـلا فلم يجـد

ومنهـا :

حبـذا العيـش في دمشـق اذا ليلهـا بـرد

والثالثة مطلعها :

العيش في ليل داريـا اذا بـردا والراح نمـزجها بالماء من بـردى

ومنهـا :

أما دمشق فقد أبـدت محاسنها وقـد وفى لك مطـريها بما وعدا

الديوان ، م ٢ صص ٧٠٧ ـ ٧١٠ ٠

كما رثاه بقصيدته المشهورة :

محل على القاطول أخلـق داثـره وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنهـــا :

تخفـى له مغتـاله تحـت غـرة وأولى لمـن يغتاله لو يجاهـره

الديوان ، م٢ ، ص ص ١٠٤٥ ـ ١٠٤٩ .

(٩) كارل بروكلمان ، تاريخ الشـعوب الاسلامية ، التـرجمة العربية (فارس وبعلبكي) ، ط ٥ ، ص ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ .

يقول بروكلمان : « وقد تلقى المتآمرون الذين دعوا أنفسهم جمعية الاتحاد والترقي مساعدة مالية من الدونمة وهم يهود سالونيك الداخلون في الاسلام والذين كانوا يسيطرون على الحياة الاقتصادية في تلك المدينة » .

(١٠) كارل شولتز ، اللغة العربية في أفغانستان ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، م ٣٠ ، ج ٣ ، ١ تموز سنة ١٩٥٥ ، ص ٣٦٩ ـ وقددلنـي على هذا المرجع الاستاذ أحمد راتب النفاخ .

(١١) كثيرا ما ذكر ذلك ، وأمام كثيرين منهم الاستاذ النفاخ ، عمر الحكيم رحمه الله نقلا عن أبيه الذي أشرف ـ كما كان يقول ـ على البناء الذي سمي فيما بعد القشلة الحميدية ثم أصبح الجامعة السورية ، والذي ـ كما يقول ـ كان أحد التحضيرات لنقل العاصمة الى دمشق (أذكر ذلك بتحفظ) .

(١٢) أبو بكر محمد الكلاباذي ، التعرف لمذهب أهل التصوف ، تحقيق النواوي ، مصر ، ص ١٧٥ .

(١٣) أبو نعيم الاصفهاني ، حلية الاولياء ، ج ٧ ، ص ٣٦٨ .

(١٤) المرجع نفسه ، ج ٧ ، ص ٣٦٩ .

(١٥) المنقذ من الضلال ، تحقيق صليبا وعياد ، ص ص ١٠٣ـ١٠٤ .

(١٦) الفتوحات المكية ، م ٤ ، ص ٥٠٠ .

(١٧) سورة البقرة ، الآيتان ١٣٤ و ١٤١ .

(١٨) والبيت :

جزاكم ذو الجـلال بني دمشق وعـــز الشـرق أوله دمشـق

من قصيدته التي قالها في الثورة السورية ، ومطلعها :

سـلام مـن صـبا بـردى أرق ودمـــع لا يكفكف يا دمشـق

الشوقيات ، ج ٢ ، ص ص ٨٨ ـ ٩١ .

(١٩) الطبري ، ج ٣ ، ص ٦١٤ .

(٢٠) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ط مصر ، ص ٣٨ .

(٢١) المرجع نفسه ، ص ٤٠ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٢) تاريخ المجمع ، ص ٣ ـ نقلا عن الحصري ، يوم ميسلون ، ص٢٣٠

(٢٣) تاريخ المجمع العلمي العربي ، صص ٢ـ٧ ٠

(٢٤) من قصيدة للمتنبي في مدح عضد الدولة ، مطلعها :

أوَهِ بديل مـن قولتـي واهـا لمـن نأت والبـديل ذكـراها

ومنهـا :

أبا شـجاع بفـارس عضـد الد دولـة فنّـا خسـرو شهنشـاها

أسامياً لـم تـزده معـرفة وانمـا لـذة ذكـرناها

ديوان المتنبي ، شرح البرقوقي ، ج٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٥٠٩ ٠

(٢٥) وقائع الحفل التأبيني الذي أقامته جامعة دمشق للفقيد الراحل الاستاذ الدكتور جميل صليبا ، ص ٥٩ ٠

(٢٦) عنوان الرسالة بالفرنسية ـ

étude sur la métaphysique d' Avicenne

ويذكرها في ترجمته الذاتية الموجودة في ملفه في المجمع بعنوان فلسفة الشيخ الرئيس » ٠ ويذكرها مصطفى عبد الرازق بعنوان « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ ٠ ويعطيها الدكتور ابراهيم مدكور هذا العنوان « دراسة في ميتافيزيقا ابن سينا » ، وقائع الحفل التأبيني ص ٢٢ ٠

(٢٧) عنوان الرسالة بالفرنسية

La théorie sociologique de la connaissance

ويذكرها في ترجمته الذاتية بعنوان « نظرية المعرفة على مذهب المدرسة الاجتماعية الفرنسية » ٠ وهذا العنوان أدل على مضمون الرسالة ٠

(٢٨) وقائع الحفل التأبيني ، ص ٢٩ ٠

(٢٩) « من قصيدته التي مطلعها :

غير مجد في ملتـي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شادي

شروح سقط الزند ، القسم الثالث ، القصيدة الثالثة والاربعون ، صص ٩٧١ ـ ١٠٠٥ ٠

(٣٠) لم أستطع الحصول على رسالة الدكتوراه هذه ٠ ولكنني وقعت في كتاب « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » لمصطفى عبد الرازق على اشارة لهذه الرسالة ، وهذه هي : « وقد رأيت للدكتور جميل صليبا ٠٠ كتابا عنوانه « بحث في الفلسفة الإلهية لابن سينا » ٠٠ ناضل فيه نضالا قويا عن الفلسفة العربية ٠ ومن أمثلة نضاله فيما نحن بصدده (الخلاف في التسمية) قوله : « ان الذين يجحدون وجود فلسفة عربية يثبتون وجود فلسفة اسلامية ، بيد أن الاسلام ، برغم كل ما نفذ اليه من العناصر الاجنبية ، ظل أثـرا مـن آثار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

العبقرية العربية . أما أن أكثر الفلاسفة من أصل غير عربي فلا نكران له.. نحن نتكلم عن فلسفة عربية كما نتكلم عن دين عربي . » تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٧ .

وبالمناسبة لقد جاريت في هذه الدراسة الدكتور صليبا في التسمية حتى لايحصل تخالف في التعبير ، على الرغم من تفضيلي التسمية الاخرى .

(٣١) صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، صص ١٠ و ١١ .

(٣٢) الدراسات الفلسفية ، المقدمة ، صص (د ، هـ) .

(٣٣) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (هـ) .

(٣٤) المرجع نفسه ، المقدمة ، ص (ج) .

(٣٥) حنا الفاخوري وخليل الجر ، تاريخ الفلسفة العربية ، ج ٢ ، صص ٣٥٠ ـ ٣٥٤ .

(٣٦) مطلع عينية ابن سينا :

هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

وهي موجودة بكاملها في : صليبا ، تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٧٥ .

(٣٧) واستجابة للمناهج اللبنانية ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٩

(٣٨) المرجع نفسه ، صص ٤٤٣ـ٥١٩ .

(٣٩) مجلة المجمع ، م ٥٠ ، ج ١ ، صص ٢٣ ـ ٤٥ ، سنة ١٩٧٥ .

(٤٠) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٣٣٣ ـ ٤٠٩ .

(٤١) مجلة المجمع ، م ٤٥ ، ج٤ ، صص ٧٤٨ ـ ٧٧٢ ، سنة ١٩٧٠ .

(٤٢) تاريخ الفلسفة العربية ، صص ٥٤٣ ـ ٦٤٤ .

(٤٣) يقول صليبا : « لاشك أن الفلسفة العربية قد تأثرت بالفلسفة اليونانية ، وأن الفلاسفة العرب قد نسجوا على منوال أفلاطون وأرسطو وأفلوطين ، وأخذوا عنهم معظم آرائهم ونظرياتهم .. الا أن التيارات الفكرية المتعددة التي جمعوا بينها في ثقافتهم جعلت فلسفتهم مشابهة لفلسفة اليونان في أصولها ومبادئها ، مباينة لها في مقاصدها وغاياتها » . ـ تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٣ .

وهذا رأي ينصف ما يدعى بالفلسفة العربية أو الاسلامية ولكنه لا يخرج بها عن الحدود التي رسمت لها .

(٤٤) هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية (الترجمة العربية) ، ص ٣٢ .

(٤٥) تاريخ الفلسفة العربية ، ص ٢٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٤٦) كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٩٠٢

(٤٧) خلاصة الاثر ، ج ٤ ، ص ص ٦ـ٨ ٠

(٤٨) طبقات الامم ، تحقيق لويس شيخو ، سنة ١٩١٢ ، ص ٦٩

(٤٩) الصلة ، ص ٥٦٤

(٥٠) تاريخ الحكماء ، ص ٣٢٦

(٥١) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ج ٢ ، ص ٣٩

(٥٢) مقدمة ابن خلدون ، ط٠ المكتبة التجارية ، الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٠٠ ، ٥٠٤ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ٠

(٥٣) نفح الطيب ، تحقيق احسان عباس ، ج ٣ ، ص ١٧٦

(٥٤) يذكر بروكلمان (تاريخ الادب العربي ، الترجمة العربية ـ ج ٤ ، ص ص ٣٢٣ و ٣٢٤) أن دوزي برهن على أن كتاب « التعليم برتبة الحكيم » أو « كنز الفضائل » منحول للمجريطي ، وكذلك قال هوليمار ، لانه نص صراحة في خطبة الكتاب أنه صنف فيما بين سنتي ٤٣٩ و ٤٤٧ (أي بعد الفتنة التي أطاحت بالحكم الاموي في الاندلس سنة ٣٩٩) ٠ وبرهن دوزي أيضا على أن كتاب « غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم » منحول له ٠ ووافقه على رأيه هذا هنري كوربان (تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢٠١) ،ويرى أنه أحد مؤلفين كبيرين من التراث الهرمسي العربي : أولهما كتاب « سر الخليقة » ، الذي ألفه في عهد المأمون رجل مسلم ونسبه لأبولونيوس الطواني، والثاني كتابنا هذا « غاية الحكيم » ، ويحتوي على معلومات قيمة عن الطقوس الفلكية عندالصابئة ، وعلى تعليم مفصل لمبدأ « الطبيعة التامة » المنسوبة لسقراط ٠ ولكن جميل صليبا (الرسالة الجامعة ، ج ١ ، ص ٤) ينقل عن كتاب غاية الحكيم (غاية الحكيم وأحق النتيجتين بالتقديم ، طبعة ريتر، ١٩٢٧ ، ص ١) : « وكان تأليفي لهذا الكتاب مبدأ ثلاثة وأربعين وثلثمائة عند فراغي من تنقيح كتاب رتبة الحكيم ، وأتممته في آخر عام ثمانية وأربعين وثلثمائة » ٠ فأي التاريخين أصح ؟ وهل خضع هذان الكتابان أيضا لما يشبه الاحداث التي خضعت لها الرسالة الجامعة ؟

(٥٥) الرسالة الجامعة ، تحقيق صليبا ج ١ ، ص ص ١٥٢ و ١٥٣ ـ طبعة بيروت ، ص ٨٤ ٠

(٥٦) المصدر نفسه ، ص ٥٢٧ ـ طبعة بيروت ، ص ٢٣٩ ٠

(٥٧) رسائل اخوان الصفا ، ط٠ بيروت ، ج ١ ، ص ص ٤٢ و ٤٣

(٥٨) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢ ٠

(٥٩) مصطفى غالب ، اخوان الصفا ، ص ٣١ ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٦٠) أبو حيان التوحيدي ، الامتاع والمؤانسة ، ج ٢ ، صص ٣ـ١٧

(٦١) البيهقي ، تاريخ حكماء الاسلام ، صص ٣٥ و ٣٦ .

(٦٢) القفطي ، تاريخ الحكماء ، صص ٨٢ ـ ٨٨

(٦٣) بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج ٤ ، ص ١٥٨

(٦٤) اقرأ فتوى ابن تيمية في : عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ج ٢ ، صص ٤٤٩ ـ ٤٥٧ .

(٦٥) المحبي ، خلاصة الاثر ، ج٤ ، ص ٦ .

(٦٦) المرجع نفسه ، ج ٤ ، ص ٨

(٦٧) مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، ص ٣٥ ـ نقلا عن رسالة العسل المصفى في تحقيق اسم مصنف رسائل اخوان الصفا ، تأليف : عبد المحيي الحويزي العربي ، بومباي ١٩٢٩ .

الخلاف في أئمة عهد الستر (ما بين محمد بن اسماعيل ومحمد المهدي أول الخلفاء الفاطميين) كبير بين الاسماعيليين أنفسهم ، وما هو موجود في الوثائق الاسماعيلية السورية : عبد الله بن محمد بن اسماعيل (المعروف بأحمدالوفي)ـ أحمد بن عبدالله (المعروف بمحمدالتقي)ـالحسين بن أحمد(المعروف بعبد الله الرضى) ـ مصطفى غالب ، أعلام الاسماعيلية ، الجداول الملحقة بالكتاب .

(٦٨) جامعة الجامعة ، صص ١٦ و ١٧ .

(٦٩) عيون الاخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع ، صص ٣٦٧ ـ ٣٩٤

(٧٠) مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٣٤ـ٣٦

(٧١) المرجع نفسه ، ص ٨٧ ـ ٩١

(٧٢) كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٢١٣

(٧٣) كشف الظنون ، ج١ ، ص ٤٥٥

(٧٤) الفهرست ، ط. طهران ، ص ٢٣٦

(٧٥) كتاب الحيدة ، ص ٤٩ ـ نقلا عن : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، ص ١٠٦٩ .

(٧٦) المرجع نفسه ، صص ٥٠ و ٥١ ـ نقلا عن طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٦٥

(٧٧) المرجع نفسه صص ١٣٥ و ١٣٦

(٧٨) المرجع نفسه ، صص ٥٣ و ٥٤ ـ نقلا عن ابن الجوزي ، المنتظم ج ٨ ، ص ٤١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٧٩) لا أدري ما الذي دعا الدكتور صليبا الى دغم الاصل الثالث من أصول مذهب المعتزلة الخمسة : المنزلة بين المنزلتين ، بالاصل الرابع :الوعد والوعيد ، والاستبدال به المعرفة بالعقل . فالاصول الخمسة هي أصول المذهب في وجهيه الإيماني والعملي للفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة . أما العقل ، بالمعنى المعتزلي أي من حيث هو عقل انساني بحت ، فهو الاساس الذي تقوم عليه الاصول الخمسة ، وبدونه لا يبقى أي معنى لها .

(٨٠) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ٣٥٠

(٨١) تراث الاسلام ، ط. مصر ، ج١ ، هامش ص ٢٤٧

(٨٢) كتاب الحيدة ، المقدمة ، ص ٢٥

(٨٣) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(٨٤) المرجع نفسه ، ج٨ ، ص ٦١٩ ـ البداية والنهاية ، ج١٠ ،ص٢٦٧

(٨٥) سورة الشورى ، الآية ١١

(٨٦) طه ، ٥ .

(٨٧) الحـديد ، ٣

(٨٨) البخاري ، كتاب الإيمان ، ٣٧ ـ مسلم كتاب الايمان ٥٧ الخ..

(٨٩) الكهف ، ٥٤

(٩٠) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، صص ٥٦ ـ ٦٧

(٩١) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ط. مصر ، صص ٢٠٢ ـ ٢٠٧ ـ الاشعري ، مقالات الاسلاميين ، ج١ ، صص ٢٢٣ ـ ٢٣٢ .

(٩٢) الفرق بين الفرق ، ص ٢٠٥

(٩٣) الانعام ، ١٠٢

(٩٤) الانعام ، ١٩

(٩٥) الانعام ، ٩١

(٩٦) النحل ، ٤٠

(٩٧) آل عمران ، ٢٨و٣٠

(٩٨) الانبياء ، ٣٥

(٩٩) الفرقان ، ٥٨

(١٠٠) الزخرف ، ٣

(١٠١) الانعام ، ١

(١٠٢) الاسراء ١٧ و ٢٩

(١٠٣) النحل ، ٧٨

(١٠٤) البقرة ، ١٢٨

(١٠٥) الرحمن ، ١ و ٢ و ٣

(١٠٦) الانعام ، ٣٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٠٧) كتاب الحيدة ، ص‌ص ٤ و ٥ .

(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ١٨

(١٠٩) تاريخ الطبري ، ج ٨ ، ص ٦٣٥

(١١٠) ابن الجوزي ، مناقب الامام أحمد بن حنبل ، ص‌ص ٣١٩ـ٣٢٨

(١١١) البداية والنهاية ، ج١٠ ، ص ٢٨١

(١١٢) كتاب الحيدة ، ص ٢٠٦

(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٥١ـ٦٩

(١١٤) المرجع نفسه ، ص ٧٠ـ٧٩

(١١٥) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦١

(١١٦) كتاب الحيدة ، ص ٤

(١١٧) تاريخ بغداد ، ج ٧ ، ص ٦٦

(١١٨) الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٩٣

(١١٩) المعجم الفلسفي ، م ١ ص‌ص ٣١ و ٣٢
تتبيّن قيمة معجم صليبا اذا قورن ما ورد فيه حول هذا المصطلح (ابداع) والمصطلحات التي تربطها به قرابة ، بما في المعجم الفلسفي لـ (وهبة ، كرم ، شلاله) ، ص ١ ص ٦ ، ص ٩١

(١٢٠) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٥٤١

(١٢١) المرجع نفسه ، م ١ ، ص ٤٦ و ٤٧

(١٢٢) لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٦

(١٢٣) فاخر عاقل ، معجم علم النفس ، ص ٥٦

(١٢٤) أسعد رزوق وعبد الله عبد الدايم ، موسوعة علم النفس ، ص٨٢

(١٢٥) عبد المنعم الحفني ، موسوعة علم النفس والتحليل ص ص ١٧٩ و ١٨٠ .

(١٢٦) التعريفات ، الطبعة القديمة ، ص ٣

(١٢٧) الكليات ، طبعة وزارة الثقافة ، قسم ١ ، ص‌ص ٢١ و ٢٢

(١٢٨) كشاف اصطلاحات الفنون ، الطبعة الجديدة ، ج١ ، ص ١٩٣

(١٢٩) معجم لالاند الفرنسي ، ص‌ص ١٩٤ و ١٩٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١٣٠) المرجع نفسه ، ص ٥٤٤

(١٣١) أحمد حميد الدين الكرماني ، راحة العقل ، صص ١٢٧ـ٢٠٥ ـ عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الاسلاميين ، ج ٢ ، صص ٢١٩ ـ ٢٤٧ هنري كوربان ، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، صص ١٤٠ـ١٤٥

(١٣٢) ابن عربي ، فصوص الحكم ، تحقيق وتعليق أبو العلا عفيفي ، المقدمة صص ٢٤ـ٣٥ ـ سيد حسين نصر ، ثلاثة حكمـاء مسلمين ، ص ص ١٣٨ ـ ١٤٨

(١٣٣) وقائع الحفل التأبيني ، ص ١٤

(١٣٤) على الحكاية من البيت :

خلـف العـبء علي وولى أنا بالعبء لـه مستقل

وهو البيت الثاني من القصيدة التي رثى بهـا ابن أخت تأبط شراً خاله هذا . ويقال هي لخلف الاحمر . والمطلع :

ان بالشعب الذي دون سلع لقتيـلا دمـه ما يطـل

شرح التبريزي على ديوان الحماسة ، ج ٢ ، صص ١٦٠ ـ ١٦٤ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net